



— روايات مصرية للجيب —

الحب بلا أرقام

زمہور
۱۵



www.dvd4arab.com

د. تبیل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٠، شارع الامام مسلمة، بالهياصة، القاهرة - ك. ٩٠٥٥٥

١ - أول لحظة حب ..

فتحت (شادن) عينيها في تكاسل وخمول ، وكشفت
عنقها بين كتفيها ، ومدت ذراعيها عن آخرهما ، وهي
تستيقظ من نومها هذا الصباح ، وافترّ ثغرها العذب
الرقيق عن ابتسامة حاملة ، وهي تتأمل جدران حجرتها
وأثاثها ، وكأنها تراها لأول مرة ..

كان قلبها ينبض بالنشوة والسعادة والحبور ،
ووجهها يتألق بالبشر ، وهي تسترجع أحداث الليلة
السابقة ، التي بدت لها ، وهي تتشاءب في كسل ،
أجمل ليالي عمرها ..

وتداعت بها الذكريات إلى أسبوع سابق ..
إلى ذلك اليوم الذي رأت فيه (أحمد) لأول مرة ..
كانت تجلس في شرفة منزلها ، تستمع إلى بعض
الموسيقى ، حينما توقفت سيارة (أحمد) أمام المنزل ..
ما زالت تذكر كيف جذبتها وسامته وأناقته من
النظرة الأولى ، وكيف تأملت وجهه المستدير الخليق ،

***** ٥ *****

الحب بلا أرقام

رباه هب لي من لدنك بلا بلاء
جنة في الأرض يغشاها السلام
لا قتال .. لا نضال .. لا إيذاء
لا دمع فيها .. لا تحصى الأيام
أرتوى من نبع حب في هناء
أسبح في بحر وردى الأحلام
أعيش عمري بين فرح أو غناء
أذوق حبي خالصاً ، بلا أرقام
(نبيل)

***** { *****

وفه الصغير الرقيق ، وشعره البني ، وهو يتطاير على
جبينه ..

لقد ذكرها في تلك اللحظة بمثل فرنسي شهير ،
بلغت شهرته الآفاق بفضل وسامته ، وأناقته ، وخاصة
حينما رأت عيني (أحمد) الشفافتين ، اللتين يقترب
لونهما السماوي الفاتح من لون بياض العينين ، الذي
يحيط بهما ..

وهو أيضاً تأملها في انبهار ..

لقد اختلج قلبها بين ضلوعها ، وتصاعدت حمرة
الحجل إلى وجنتيها ، وهو يتطلع إلى وجهها الجميل في
مزيج من الدهشة والإعجاب ..

توقفت ذكرياتها عند هذه النقطة ، وتدفقت
الحيوية بغتة في عروقها ، فهضت من فراشها بنشاط ،
ووقفت أمام مرآة حجرتها ، تتأمل وجهها الصبوح ..
أزاحت خصلة من شعرها الكستنائي عن جبينها ،
وابتسمت لصورتها في المرآة ..
كانت حقاً جميلة ..

***** ٦ *****

وجهاً أقرب إلى الاستدارة ، يتألق ببشرتها
الوردية ، ويبرز قليلاً عند وجنتيها ، ثم يعود ليستدق
بذقنها الرقيقة ..

عينها نبع للحيوية والجمال والرقّة ، فهما واسعتان ،
حاملتان ، لهما لون فيروزي نادر ، يتألق تحت رموشها
البنية الطويلة ، ويصرخ بالجاذبية ، حينما تسبل جفنيها في
حياء قلما يفارقها ..

وفها قطعة من الجنة ..

قطعة تحاكي فاكهة الفردوس ، وثمار النعيم ..
وابتسامتها بهاتين الشفتين الحمرتين أسرة جذابة ،
لا يملك المرء إلا إجابتهما بابتسامة مشابهة ، تحمل اللهفة
والشوق والانبهار ..

أما شعرها الكستنائي الناعم ، الذي ينسدل على
كتفيها في روعة ورقة ، فهو أعجوبة من عجائب
الدهر ..

كانت في مجملها قطعة نادرة ، من جمال خلق الله
(سبحانه وتعالى) .

***** ٧ *****

حتى اسمها كان نادراً ، لا تألفه الأذن بسهولة ..
(شادن) !! ..

اسم له رنين عجيب ، ووقع ناعم على الآذان ..
لهذا توقف (أحمد) يحدّق في وجهها مبهوراً ..
ودون أن يدري ابتسم لها في هيام ..
وتضاعف شعورها بالحياء ، واصطبغ وجهها
بحمرة الحجل في شدة ، حتى بات من العسير تمييز
شفتيها الأحمر اوين وسطه ..

وأسرعت إلى حجرتها ، وهي ترتجف ، وقد
تنهت إلى أنه ضبط عينيها متلبستين بتأمله ، وقضت فترة
طويلة ، قبل أن يتوقف جسدها عن ارتعادة الحجل
واللهفة ..

وظل وجه (أحمد) ماثلاً أمامها طويلاً ، بابتسامته
الهائمة ، ووسامته المتألقة ..

وفي اليوم التالي فوجئت به ينتظرها داخل سيارته ،
أمام باب منزلها ..

وفي نفس اليوم تقدم إليها يعرفها بنفسه ، دون أن

يبالي بالحياء الشديد ، الذي ألجم لسانها ، وجعلها لا تجرؤ
على النظر إليه ..

وعرفت عنه كل شيء ..

عرفت أنه حاصل على بكالوريوس التجارة منذ
ثلاث سنوات ، وأنه يدير الآن شركة الاستيراد
والتصدير التي يملكها والده ، والتي تعتبر ملكه هو
بحكم كونه الابن الوحيد لهذا الوالد ، الذي أنجبه بعد
سنوات طوال ، فصارت له عنده مكانة خاصة ..

وكشفت أنه يمتلك طبيعة عملية للغاية ، فهو لم
يضع ذلك اليوم ، ما بين رؤيته لها في الشرفة ، ومقابلته
لها أمام منزلها عبثاً ، بل استغلها في جمع كل المعلومات
اللازمة عنها ..

عرف أنها أيضاً ابنة وحيدة لمهندس معروف ،
وأنها طالبة بالسنة النهائية بكلية التجارة ، وأنها - وهذا
هو المهم - غير مخطوبة ، أو متزوجة ..

وفي بساطة ، وبأسلوب عملي جداً سألها أن تقبل
الزواج منه ..

كادت تفقد وعيها أمام تلك المفاجأة ، التي باغتها
 بعد يوم واحد من رؤيتها له ..
 وأرادت أن تفرّ من أمامه ، وقد بلغ حياؤها مبلغه .
 ولكنها لم تفعل ..
 تسمّرت قدماها ، واحتبست الكلمات في حلقها ،
 وانطلقت حرارة شديدة من وجهها ، الذي بدا وكأنه
 اجتذب دماء جسدها كله ..
 واختلج قلبها في شدة ..
 اختلج حتى أنه نقل اختلاجته إلى جسدها كله ،
 فوقفت أمام (أحمد) ترتجف ، من قمة رأسها حتى
 أخمص قدميها ، وهو يخبرها في هدوء أنه سيمنحها
 أسبوعاً للتفكير في عرضه ، وسيكفيه أن تجلس في شرفة
 منزلها في الأربعاء التالي ، في نفس الموعد ، ليعلم أنها
 قد وافقت ..
 ثم تركها في هدوء ، واستقل سيارته ، وابتعد
 دون أن يضيف حرفاً واحداً ..
 وهنا رفعت عينيها لأول مرة ..

***** ١٠ *****

راقبت سيارته حتى اختفت في نهاية الشارع ، ثم
 أسرعت إلى منزلها ، ولم تفارقها ارتجافها بعد ، ولم تكذب
 أمها تستقبلها ، وترفع حاجبيها في دهشة لعودتها
 المفاجئة ، حتى ألقت نفسها بين ذراعيها ، وقصّت عليها
 الأمر كله في كلمات مرتجفة ، تملؤها اللهفة ..
 وابتهجت الأم ، وتهللت أساريرها ..
 هي أيضاً وجدت في (أحمد) زوجاً مثاليّاً لابنتها
 الوحيدة ..
 ذلك الزوج الذي تحلم به كل فتاة في العالم ..
 وسيم .. أنيق .. مهذب .. ثري ..
 ووافقت الأم من كل قلبها ..
 ووافق الأب ، حينما نقلت إليه تفاصيل ما حدث ..
 وباتت الأسرة كلها تنتظر مضي هذا الأسبوع ..
 ومن العجيب أن (أحمد) لم يحاول الظهور في
 المنطقة ، طوال ذلك الأسبوع ..
 وفي يوم الأربعاء ، في الموعد المحدود تماماً ، توقفت
 سيارته أمام المنزل ، وأطلّ بوجهه إلى نافذتها ، واحمرّ .

***** ١١ *****

وجه (شادن) ، ونبض قلبها في قوة ، حينما منحها
ابتسامة واثقة ، وانطلق بسيارته دون أن يتبادل معها
كلمة واحدة ..

وفي مساء اليوم نفسه - أمس - جاء مع والده
لزيرة والدها ، وطلب يدها رسميًا ..
وانطلقت زغرودة فرحة ، من بين شفתי أمها ،
حينما تصافح الرجلان - والدها ووالده - وقرأ الفاتحة ،
إعلاناً للموافقة والقبول ..

وما زال صدى تلك الزغرودة يدوي في أذني
(شادن) كموسيقى عذبة ، وهي تسترجع هذه
الذكريات ..

لم تكن تصدق - حتى هذه اللحظة - أن خطبتها
لـ (أحمد) ستتم - بإذن الله - بعد أسبوع واحد ، وأن
زفافهما لن يتأخر أكثر من شهر ..
واتسعت ابتسامتها ، وهي ما زالت تتأمل صورتها
في المرآة ، وتذكّرت أنها ستخرج مع (أحمد) لأول
مرة هذا المساء ..

وكانت تتلهف لذلك ..
كانت تريد أن تعرفه أكثر ، وتقرب منه أكثر ..
وفي لهفة أخذت تصف أدوات زينتها ، وتحاول
انتقاء الثوب المناسب لنزاهتهما الأولى ..
ومضت ساعة كاملة ، قبل أن يستقر رأيها على
ثوب معين ، فأخذت تتحسّسه في شوق ، وشعرت
أن هذا الثوب بالذات قد أصبحت له في نفسها مكانة
خاصة ..

إنه ثوب أول لقاء ..
وأول لحظة حب ..



٢ - لقاء قلبين ..

أشرأبت الأعناق ، واتسعت العيون في انبهار ،
حينما عبرت (شادن) ، بثوبها الوردى الأنيق ، مدخل
ذلك الفندق الفاخر ، قرب مطار القاهرة ، وصبغت
نظرات الإعجاب وجهها بحمرة خفيفة ، زادت من
فتنته ، وهي تتأبط ذراع (أحمد) ، الذي بدا بدوره
شديد الوسامة والأناقة ..

كانا يبدوان وكأن أحدهما قد مُخْلِيقٌ للآخر
خصيصاً ..

وتابعتهما العيون في نشوة وحسد ، وهما يتخذان
ركناً قصيماً ، ويجلسان في هدوء وأناقة ..

وخفضت (شادن) عينيها في حياء ، وهي تغمغم :

— لماذا ينظر إلينا الجميع

ابتسم (أحمد) ، وقال في هدوء :

— لأنك فجّرت إعجاب خمسين في المائة من
الحاضرين ، وأعنى الرجال ، في حين أثرت حسد

***** ١٤ *****

وحسرة وغيره الخمسين في المائة الأخرى ، وأقصد
النساء بالطبع ..

أسعدتها عبارته ، وفجرت في أعماقها ينابيع
السعادة ، ومزیداً من الحجل وهي تغمغم :

— إنك تبالغ .

هز رأسه نفيّاً في هدوء ، وقال :

— لست أبالغ على الإطلاق ، فأنت اليوم تستحقين
الدرجة النهائية ، في الجمال والرقّة والأناقة .

ابتسمت في مزيج من الحجل والفرح ، ورفعت
إليه عينيها ، وهي تتمتم :

— أنت أيضاً تبدو أنيقاً ووسيماً للغاية ..

التقط كفها في هدوء ، وضغطها في راحته برقة ،
وهمس :

— ألا يمكننا تقديم موعد زفافنا يا (شادن) ؟

تصاعد حياؤها ، وغمغمت في ارتباك :

— لست أدري .. والذى هو صاحب القرار

في هذا .

***** ١٥ *****

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— ولماذا ننتظر ؟ .. شقتى جاهزة ، والأثاث
يمكن شراؤه في يوم وليلة و ..

قاطعته وقلبها يتراقص في سعادة :

— كما تشاء يا (أحمد) .

ابتسم في ارتياح ، وعاد يضغط كفها في رفق ،
وهو يقول :

— سيوافق والدك .. أنا واثق من ذلك .

خفت صوتها ، وهي تغمغم في حياء :

— بإذن الله .

وفي هذه الليلة شعرت أنها قد ملكت العالم كله ..

شعرت أنها أسعد مخلوقة على وجه الأرض ..

وذلك حينما وافق والدها ..

لقد فاجأه (أحمد) بمطلبه هذا في الليلة نفسها ،

واعترض والدها في بادئ الأمر ، بحكم طبيعته المتأنية

في اتخاذ القرارات ، ولكن (أحمد) نجح في إقناعه

بلباقة ، وأكد له أن الانتظار لا يعنى شيئاً ، وأنه بدلا

من إقامة حفل للخطبة ، وآخر للزفاف في شهر واحد ،
فن الأفضل أن يتم كل شيء دفعة واحدة ، وكل
ما سيتغير هو أنهما سيصبحان زوجين ، بدلا من قضاء
شهر واحد كخطيبين ..

ولان والدها أمام منطقته العملي هذا ..

ربما لأنه اقتنع بعدم جدوى الانتظار ، أو لأنه
شعر برغبة (شادن) في موافقته ، حينما خفضت عينيها
في حياء ، وهو يسألها رأيها ..

المهم أنه وافق ..

وتم إعداد كل شيء بسرعة ..

وكان (أحمد) سخيّاً .. لم يدخر وسعاً في منحها كل

ما يبعث في نفسها السعادة والفرح ..

وكان حفل زفافهما رائعاً ، تحدثت عنه القاهرة

كلها ..

وتألفت (شادن) في ثوب الزفاف ، حتى أنها ..

بهرت المدعوين ، ومست شغاف قلوبهم برقها وفتنها .

وخطف (أحمد) الأبصار بأناقته ووسامته ، ..
وخفقت له قلوب المدعوات ..

وأصرت إدارة الفندق على الاحتفاظ بصورة
ضخمة للعروسين ، تزين مدخل قاعة الحفلات ، بعد
أن أجمع العياملون فى الفندق على أنهما أجمل عروسين
شهدتهما القاعة منذ إنشائها ..

كان كل شىء يوحى بالسعادة والفرح والتوافق ..
ومع نهاية الحفل انتقل العروسان إلى منزلها الجديد
الفاخر ، على ضفاف نيل القاهرة الساحر ..
والتقى قلباهما ..

وبدأ عهد جديد من قصتهما ..
كشفت (شادن) أن (أحمد) رقيق عطوف محب ..
وكشف هو رقتها وجمالها وحنانها الدافق ..
ولقد بدا كآسعد زوجين فى العالم حينما زارهما والدا
(شادن) ، ووالد (أحمد) صباح اليوم التالى للزفاف ..
وبعد تبادل عبارات التهئة والمحبة ، قال والد
(شادن) :

***** ١٨ *****

— أين قررتما قضاء شهر العسل ؟

أجابه (أحمد) فى ثقة :

— فى (باريس) عاصمة الفن والجمال .

ابتسم والده ، وهو يقول :

— هذا عظيم .. سأطلب من مكتبنا هناك أن يحجز

لكما جناحاً فاخراً ، فى فندق (ريتز) ..

ابتهجت (شادن) وهى تتصور (باريس) بجمالها
الساحر ، وأناقتها التى جعلتها تتميز عن عواصم أوروبا
كلها ، وشعرت بالسعادة ؛ لأنها ستقضى أجمل أيام
حياتها هناك ، فى عاصمة الحب ، فى حين بدا الاهتمام
على وجه (أحمد) ، وهو يقول لوالده :

— إن أفراد مكتب (باريس) يحتاجون إلى بعض
الحزم يا أبى ، فتعاملهم مع صفقة أدوات الزينة السابقة
لم يرق لى ..

عقد والده حاجبيه ، وبادله اهتمامه ، وهو يسأله :

— لماذا ؟

***** ١٩ *****

اعتدل (أحمد) ، واتخذت ملامحه سمة العمل ،
وهو يجيب :

— أنت تعلم أن شركتنا لا تحتكر منتجات بعينها ،
ولكننا نحسن التعامل مع ستين في المائة من بيوت الأزياء ،
وأدوات الزينة الباريسية ، ولقد اعتدنا الحصول على
نسبة خصم خاصة ، تصل في بعض الأحيان إلى أربعين
في المائة و ..

قاطعته (شادن) في مرج :

— ليس هذا وقت الحديث في العمل يا (أحمد) .

ابتسم في فتور ، وغمغم :

— آه .. هذا صحيح .

ضحك والده ، وقال :

— لا تؤاخذيه يا بنيتي ، ف (أحمد) يعشق عمله ،

وهو لم يحصل على إجازة منه قط .

ابتسمت والدته (شادن) ، وقالت في حنان :

— ولكن إجازة شهر العسل تختلف .

هتف والد (أحمد) في حماس :

— بلا شك .

ثم التفت إلى (أحمد) ، واستطرد :

— أليس كذلك يا (أحمد) ؟

أطلق (أحمد) ضحكة مرحة قصيرة ، وأحاط

كتف (شادن) بذراعه ، وقال في مرج :

— طبعاً يا والدي .. ولكن هذا لن يصلح طوال

الوقت ، ف شهر العسل مع (شادن) سيمتد إلى العمر

كله ..

خفضت (شادن) عينيها ، وهي تبتسم في سعادة

وحياء ، في حين ابتسم الجميع في حنان ، ونهضت

أمها تقبلها في حب ، وهي تقول :

— أسعدكما الله يا ولدي .

ثم التفتت إلى والد (شادن) ، وقالت :

— هيا .. سنترك العروسين لينعما بوقتتهما معاً .

نهض والد (أحمد) أيضاً ، وهو يقول :

— صدقت يا سيدي .

وعادوا يتبادلون التهنية قبل انصراف والدي .

(شادن) ، ووالد (أحمد) ، وبينما كان (أحمد) يصافح والده ، عادت ملامحه تحمل الاهتمام وهو يقول :
- أخبر (حلمي) ، مدير مكتب (باريس) ،
أن ينتظرني في مطار (أورلي) يا أبي ، فلدى ما أتحدث به معه بشأن صفقة ال ..

قاطعته (شادن) في عتاب رقيق :
- (أحمد) .. ألم نتفق على نسيان العمل ؟
ضحك مرة أخرى ، وقال في مرح :
- معذرة يا حبيبتى .. لقد نسيت .

ولم يكذ يغلق الباب خلف والده ، حتى التفت إليها ، وابتسم وهو يقول :
- ستعجبك (باريس) يا (شادن) ، فهي من أجمل مدن أوربا .

التصقت به ، وهي تقول في حب :
- سيعجبني أي مكان في العالم ، ما دمنا سنذهب إليه معاً يا (أحمد) .

ضمها إلى صدره ، ومسح على شعرها الكستنائي الناعم في حنان ، وهو يقول :
- سيد هشك عدد أصدقائي هناك يا زوجتي الحبيبة ، فأنا أقضي شهراً كاملاً في (باريس) كل عام ، و ..

تركته يتحدث ، وأراحت رأسها على صدره في حب ، وأخذ عقلها يصنع عشرات الصور لشهر العسل ، الذي سيقضيانه في (باريس) ..
في مدينة الفن والحب والجمال ..



استنشقت (شادن) هواء (باريس) في نشوة ،
واحتضنت ذراع زوجها في سعادة ، وهما يجتازان بوابة
الجمارك بمطار (أورلي) ، وعادت تلك الأحلام الناعمة
تراود خيالها مرة أخرى ..

أحلام شهر عسل مرتقب ، في أجمل مدن أوربا ..
وانطلق خيالها يصوّر لها سهرات رائعة ، مع
زوجها (أحمد) ، وسط ليالي (باريس) الساحرة ،
ونزهات رومانسية جميلة على ضفاف نهر (السين) ،
وهمسات عاطفية فوق برج (إيفل) ، و (أحمد)
يضمها إلى صدره ، وأمامهما تمتد عاصمة النور ..
وانتزعاها من خيالاتها صوت يهتف بالعربية في
ترحاب :

- مرحباً بالعروسين .. لقد أضاءت (باريس)
كلها .

رفعت عينيها لتأمل شاباً أنيقاً ، صافحها في
حرارة وهو يقول :

- مرحباً بك في (باريس) يا سيّدتي .. تقبّلي
تهنّاتي .

ثم استدار إلى (أحمد) يشد على يده في حرارة ،
ويردف :

- تقبّلي تهنّاتي يا (أحمد) بك .

صافحه (أحمد) في رصانة ، وسأله في اهتمام :

- كيف حال العمل هنا يا (حلمي) ؟

أطلق (حلمي) ضحكة مرحة ، وقال :

- بخير حال يا (أحمد) بك ، سنناقش كل الأمور
بعد انتهاء شهر العسل .

ضحكت (شادن) بدورها ، وقالت :

- أحسنت يا أستاذ (حلمي) ، سنؤجل العمل
لما بعد .

ولكن (أحمد) لم يبتسم ..

لقد تحرك في خطوات سريعة إلى خارج المطار ،
وهو يسأل (حلمي) في اهتمام :

— لماذا لم تتم صفقة أدوات الزينة الأخيرة بالأسلوب المعتاد ؟

عقد (حلمي) حاجبيه ، وقال في اهتمام مماثل :
— إنهم يرفضون منحنا نسبة الخصم المعتادة ،
ولقد رأيت أن ..

هتفت (شادن) في ضيق :
— ليس هذا وقت العمل يا (أحمد) .. وأرجو أن
تخفف من سرعتك قليلا ، فأنا أضطر للعدو خلفك .
خفض (أحمد) سرعته بغتة ، حتى أنها كادت
تتعثر ، وابتسم ابتسامة قلقة ، وهو يغمغم :
— حسناً يا حبيبتي .

قادهما (حلمي) إلى سيارة فاخرة ، وأسرع يفتح
باب مقعدها الخلفي ، ويدعوها للركوب ، ثم جلس إلى
جوار السائق ، الذي يرتدى زياً أنيقاً ، وأمره بالانطلاق
إلى فندق (ريتز) ، ولم تكد السيارة تتحرك حتى عاد
(أحمد) يسأله :

— لماذا لم تحاول مساومة الشركات بشأن نسبة

***** ٢٦ *****

الخصم ، بدلا من تجاهل عروضهم الجديدة على هذا النحو ؟

بدا (حلمي) مرتبكاً ، وهو يقول :
— لقد فكرت أننا لو تجاهلنا عروضهم ، فربما
يقلقهم الأمر ، ويعودون لمنحنا نسبة الخصم المعتادة :
قال (أحمد) في حدة :

— ليس هكذا تجرى الأمور في (باريس)
يا (حلمي) ، لو أنك تجاهلتهم هنا ، فسيتجاهلونك
بدورهم .

نغمم (حلمي) ، وقد تضاعف ارتباكاه :
— لم أتصور أنه يمكنهم ذلك ، ثم إنني لم أحتمل
رفض (بيير كاردان) منحنا النسبة المعتادة ، حينما
خاطبني بغطرسة ، فثرت في وجهه و ...
أرادت (شادن) أن تقطع حديث العمل هذا مرة
ثانية ، ولكن (أحمد) هتف في غضب :

— ماذا ؟! .. ثرت في وجه (بيير كاردان) ؟! ..
أية حماقة فعلت ؟ ألا تعلم أن هذا الرجل شديد الاعتداد

***** ٢٧ *****

بنفسه ؟ .. وأن تصرّفك هذا قد يدفعه إلى رفض التعامل معنا إلى الأبد .

شعرت (شادن) بالضيق ، ونغممت في لهجة أقرب إلى التوسّل ، وهي تمسك يد (أحمد) :

— إننا في أول شهر العسل يا (أحمد) .

ولكن (أحمد) لم ينتبه لكلمتها .. بل بدا وكأنه لم يسمعها قط ، فقد واصل صياحه الغاضب ، قائلاً :

— هل تعلم كم حجم تعاملنا معه ؟ .. إن ثلاثة

وثلاثين في المائة من مبيعاتنا يحمل اسم (بيير كاردان) ، وبضاعته تربح خمسين في المائة من ثمنها على الأقل ، وهناك أكثر من ربع عملائنا يطلبون هذه البضاعة بالذات .

شحب وجه (حلمى) ، في حين عادت (شادن) تغغم في ضراعة :

— (أحمد) .. أرجوك .

وهذه المرة أيضاً لم يلتفت إليها ، بل هتف في عصبية :

— لقد أفسدت الأمر يا (حلمى) .. سيكون على

أن أقابله شخصياً ، وبسرعة ، قبل أن يتعاقد مع مستورد آخر .

توقفت السيارة أمام فندق (ريتز) ، فأسرعت (شادن) تقول :

حسناً يا (أحمد) .. دعنا نؤجل أمر (بيير كاردان) هذا ، حتى ..

صاح في حدة :

— هذا مستحيل .. سنخسر ثلث تعاملنا في (باريس) ، لو أننا لم نتحرّك بسرعة .

ثم ربّت على كتفها في حنان ، وقال :

— سأنهى هذا الأمر بسرعة يا حبيبتي ، وسأعود إليك قبل انتهائك من إفراغ الحقائب .

امتقع وجهها وهي تغغم في شحوب :

— هل تعنى أنك لن .. ؟

قاطعها في حنان ، وهو يربّت على وجنتها في رقة :

— لن أتأخر يا حبيبتي .. سأعود بأقصى سرعة ممكنة .

احتبست الكلمات في حلقها ، وعجزت عن النطق ،
وغامت عينها بالدموع ، حينما غادر السيارة بسرعة ،
وهو يقول لـ (حلمي) :

— هيّا بنا .. سنحاول إصلاح ما أفسدته .

وصعدت (شادن) إلى جناحهما الفاخر ، في فندق
(ريتز) ، وحدها ..

ومنعها الدموع من ملاحظة أناقة الجناح وفخامته ،
وألقت معطفها فوق الفراش في حلق ، وألقت جسدها
خلفه .. وبكت ..

بكت بدموع ساخنة صامتة ..

وتبخّرت أحلام شهر العسل من رأسها ، وهي
تتذكر اهتمام (أحمد) الشديد بعمله ، وتجاهله التام لها ..
حاولت أن تبحث له عن مبرّر ، ولكن ذلك
الإحباط ، الذي ملأ نفسها ، لم يمكنها من ذلك ..

وعادت تنهض من فراشها ، وتجنّف دموعها ،
ووقفت أمام المرأة الكبيرة في الجناح ، تتأمل جمالها ،
الذي تجاهله (أحمد) ..

***** ٣٠ *****

وعادت تتذكر انبهاره الأول بها ، ولهفته في
التحدث إليها أول مرة ، ودغدغت تلك الذكرى
حواسها ، ووجدت نفسها تبتسم ، وشعور الإحباط
والحنق في أعماقها يتضاءل ..

لقد استيقظ حبها له ، وأخذ كل المشاعر الأخرى ،
وأوجد له المبرّر ..

إن مستقبل شركته في خطر ، ولا بد له من القتال
من أجلها ..

وهو يفعل ذلك من أجلها ..

من أجل مستقبلهما ..

من أجل حبهما ..

وتلاشى غضبها أمام هذا التصور الجديد ، وتألقت
ابتسامتها العذبة ، وأشرق وجهها الفاتن ، وأسرعت
تفتح حقيبتها ، وتنتقي منها ثوباً أنيقاً في لون زهر
البنفسج ، وعادت تقف أمام المرأة ، وتفرد الثوب أمام
جسدها ، وتأكدت من ملاءمته لبشرتها ، وسبحت

***** ٣١ *****

بخيالها تتصوّر نظرة الإعجاب في عينيه ، وهو يشاهدها
في ذلك الثوب الأنيق ..

واحتضنت الثوب في حنان ، وهي تغمغم :

— إنه لن يتأخر .. لقد وعد بالعودة سريعاً ..

ولكن (أحمد) لم يعد سريعاً ..

لقد عاد في منتصف الليل تقريباً ..

عاد مجهداً ، مرهقاً ..

ولم يلتفت إلى جمالها المبهري في ذلك الثوب البنفسجي ،

الذي امتزج بلون شعرها الكستنائي الناعم ، وعينيها

الفيروزيتين ، ليصنع لوحة بالغة الحسن والجمال ..

لم يلتفت إليها ، ولم يحاول حتى أن يعتذر ..

كل ما فعله هو أن مسّ وجنتها بشفتيه ، في قبلة

باردة فاترة ، وأسرع إلى هاتف الجناح ، وقال لعامل

الفندق في فرنسية سليمة :

— أريد مكانة عاجلة للقاهرة ..

جلست إلى جواره على طرف الفراش ، وقد عاد

الإحباط يملأ نفسها إلى الأعماق ، وهي تغمغم في ضيق :

*** ٣٢ ***

— لقد انتظرتك طيلة النهار ولم أغادر الفندق قط ..

لم تبد على وجهه بادرة توحى بسماعه عبارتها ،

وهو يخبر عامل الهاتف بالرقم الذي يريده في القاهرة ،

فعادت تقول ، وقد ارتفعت نبرة صوتها في حدة :

— لقد ارتديت هذا الثوب من أجلك ..

ابتسم ابتسامة فاترة ، وربّت على وجنتها بحركة

آلية ، وهو يغمغم في شروود :

— هذا عظيم يا حبيبتى ..

لم يكذب ينطق عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ،

فاختطف سماعته في لهفة ، وقال :

— مساء الخير يا أبى .. أنا (أحمد) .. يبدو أن

الأمور هنا في مكتب (بارييس) أسوأ مما كنا نتصوّر ..

لقد قضيت نهاري كله في محاولة التفاوض مع الشركات ،

وحصلت على موعد لمقابلة (بيير كاردان) صباح الغد ..

هتفت (شادن) في سخط :

— صباح الغد ؟! .. هل تعنى أنك ستتركنى يوماً

آخر وحدى ؟

*** ٣٣ ***

(م ٣ — زهور — حب بلا أرقام)

خيَّل إليها أن عبارته لم تصل إلى أذنه قط ، فقد
واصل حديثه في اهتمام ، ملك حواسه كلها :
- نعم يا أبي .. هناك أمل ستين في المائة ، أن
أنجح في عقد صفقة جديدة معه ..

بلاشك .. سأبذل أقصى جهدي ..
شعرت بالغضب لتجاهله إياها أكثر من مرة ،
فقالت في عصبية :
- (أحمد) ..

واصل حديثه مع والده ، دون أن يلتفت إليها :
- سأخبرك بما أتوصل إليه بالطبع يا أبتاه .. فور
عودتي من مقابلته سأتصل بك هاتفياً .. إلى اللقاء يا أبي .
كان يضع سماعة الهاتف ، حينها صرخت في صوت
يجمع كل غضبها ، ومخطها ، وإحباطها :
- (أحمد) !! .. إنني أتحدث إليك .

التفت إليها في دهشة ، وكأنه يراها لأول مرة ،
أو كأن وجودها إلى جواره جاء مفاجأة له ، وغمغم
في حيرة :

- ماذا حدث يا (شادن) ؟

تفجرت دموع القهر من عينيها ، وهي تلوِّح
بذراعيها ، صائحة :
- إنني أتحدث إليك منذ زمن ، وأنت لا تشعر
حتى بوجودي .

أشار إلى الهاتف ، وهو يقول في ارتباك :
- معذرة يا حبيبتي .. لقد كنت أتحدث إلى أبي ..
قاطعته في غضب :

- كنت تتحدث معه في العمل ، في أول أيام شهر
العسل ، وتجاهل وجودي ومشاعري تماماً ، فماذا
ستفعل بي بعد عام واحد من الزواج .
تطلع إليها في شحوب ، ثم نهض في بطاء ،
واحتواها بين ذراعيه ، وقال في حنان ، وهو يمسح
على شعرها الكستنائي في رقة :

- اغفري لي يا حبيبتي .. لم يكن هذا لائقاً بالفعل ،
ولكنني فوجئت هنا بكارثة تهدد شركتنا بخسارة كبيرة ،
ولم يكن أمامي إلا التصرف بسرعة ، وإلا فقدنا الكثير .

سالت دموعها غزيرة ، وهى تغمغم فى ألم :
— لقد ارتديت هذا الثوب من أجلك ، وانتظرتك
لنبدأ شهر العسل .

قبّل جبينها فى حنان ، وهمس :
— إنك تبدين فاتنة حقاً فى هذا الثوب الجميل
يا (شادن) ، وإننى أشعر بخسارة كبيرة ؛ لأننا لم نخرج
معاً هذا المساء ، ولكننى أفعل ذلك مضطراً يا حبيبتي ..
من أجل مستقبلنا .. من أجل أبنائنا فيما بعد .

ثم أمسك بذقنها الرقيقة فى رفق ، ورفع وجهها
إليه مستطرداً :

— ثم إنه ما زال أمامنا العمر كله يا حبيبتي ..
وستكون حياتنا كلها شهر عسل متصل .

أراحت رأسها على صدره ، وعاد الحب يمحو
كل المشاعر الأخرى من قلبها ، وهى تغمغم :
— نعم يا حبيبي .. ما زال أمامنا العمر كله .

* * *

٤ - بلارفيق ..

استيقظت (شادن) هادئة فى الصباح التالى ، وقد
تلاشت من ذهنها تماماً أحداث الأمس ، ولكنها لم تكذب
ترى (أحمد) ، وهو يرتدى ملابسه على عجل ، حتى
استعادت ذلك الشعور الجارف بالحق والإحباط ،
وهتفت فى ضيق :

— هل ستركنى وحدى مرة ثانية ؟
ارتسمت على شفثيه ابتسامة مصطنعة ، وقبّل وجهها
فى سرعة وعجل ، وهو يقول :

— إنه موعد هام مع (بيير) يا حبيبتي ، وسيتوقف
عليه — تقريباً — مستقبل تعاملنا مع (باريس) ، ولكننى
أعدك ألا يتكرر ذلك مرة ثانية ..

قالت فى غضب :
— (باريس) لا تبدو ممتعة ، حينما أشاهدها وحدى
من نافذة الفندق .

رفع حاجبيه فى استنكار ، وهتف :

— ولم تكتفين بذلك يا حبيبتي؟ .. يمكنك الخروج
ومشاهدة (باريس) كلها .

ثم أردف في لهجة تشف عن عجلته ، وهو يعقد
ريلط عنقه في سرعة ومهارة :

— سينتظرك سائق مكتبنا هنا ، في سيارة أنيقة ،
وسأترك لك كمًّا من الفرنكات الجديدة ، يتيح لك
التنزه كملكة في ...
قاطعته في ألم :

— كملكة وحيدة ، بلا رفيق .

ربت على خدّها في عجلة ، وقال :

— سنذهب غداً للنزهة معاً .. أعدك بذلك .

عاودها الأمل ، وهي تهتف :

— عدني أن نذهب إلى برج (إيفل) ، ومتحف

(اللوفر) ، و ...

قاطعها في عجلة :

— بالطبع يا عزيزتي .. بالطبع .. أنا أيضاً أتمنى

رؤية برج (إيفل) .

ارتفع حاجباها في دهشة ، وهي تقول :

— ماذا ؟ ! .. هل تعني أنك تزور (باريس)

شهرًا كاملاً كل عام ، ولم تشاهد برج (إيفل) بعد ؟

ظهر الضجر على وجهه ، وألقى نظرة سريعة على

ساعته ، ثم قال :

— إنه العمل يا حبيبتي .. العمل .

ثم أسرع خارجاً ، وهو يستطرد :

— إلى اللقاء يا زوجتي الحبيبة .. ستنتظرك سيارتنا .

انتابها شعور عارم بالضيق . حينما وجدت نفسها

وحيدة مرة أخرى ، ونغممت في سخط :

— يا له من شهر عسل !!

وفجأة تحوّل ضيقها إلى عناد شديد ، وقفزت من

فراشها في حدة ، وانتقت من بين أثوابها ثوباً بسيطاً ،

أزرق اللون ، ارتدته في عجلة ، وتركت وجهها

بلا تزين ، وعقصت شعرها خلف رأسها ، على ذلك

النحو المعروف باسم (ذيل الحصان) ، ثم وقفت تتأمل

وجهها وثوبها في المرآة ..

شعرت أن هذا يجعلها أشبه بطالبة في المرحلة
الثانوية ، ولكنها لم تحاول تغيير ثوبها ، أو تصفيفة
شعرها ..

وهبطت إلى حيث تنتظرها السيارة ، التي أسرع
سائقها يفتح بابها الخلفي ، وينحني في احترام ، ولكنها
قالت في حدة :

— يمكنك الانصراف .. سأجول في (باريس)
على قدمي .

رفع السائق حاجبيه في دهشة ، ثم عاد يخفضهما ،
وهو يقول في احترام :

— ولكن السيد (أحمد) أمر أن ..
قاطعته في حلق :

— قلت لك إنني لن أركب السيارة .
مطاً السائق شففيه ، وهزاً كتفيه ، وهو يغلق
باب السيارة مغمماً :

— كما تشائين يا سيدي .

ابتعدت عنه بخطوات سريعة غاضبة ، وكأنها

***** ٤٠ *****

لا تريد أن تمنحه فرصة لدس أنفه في شئونها ، ولكنها
لم تكذب تبعد عن السائق والفندق ، وتختلط بالمارّة ، وتجذب
نفسها وسط شوارع (باريس) ، حتى تلاشى غضبها .
وحلّ محله شعور رائع بالنشوة والسعادة ..
إنها تسير وسط (باريس) ..

وسط مدينة الجمال ..

وبهرتها أناقة المدينة ، ونظافتها ، وجذبتها
المعروضات الأنيقة في كل مكان حولها ، فعاد إليها
مرحها ، وأخذت تجوّل في انبهار وسعادة ..

ومضى وقت طويل قبل أن تنبسه بغتةً إلى أنها
لا تعرف (باريس) جيّداً ، ولم تزرها من قبل ،
فتوقفت حائرة ، ودارت ببصرها في أرجاء الميدان
الواسع ، الذي تقف فيه ، محاولةً تذكر الطريق الذي
جاءت منه ..

ولكنها عجزت عن ذلك ..

بدت لها الشوارع ، والميادين ، والمحال التجارية
متشابهة ..

وشعرت فجأة بوحدتها ..

شعرت أنها بلا رفيق تستند إليه ..

ونغممت في توتر :

— لا بأس .. سأستقل إحدى سيارات الأجرة ..

ارتسم فجأة جزع شديد في عينيها ، وقد فجّرت

العبارة مخاوف جديدة في أعماقها ، وكشفت لها أموراً

لم تنتبه إليها من قبل ..

إنها لا تتحدث الفرنسية ..

لقد كان حديثها مع السائق بالإنجليزية ، التي لا تجيد

غيرها ..

ثم إنها لا تملك مالاً ..

انصرافها السريع الغاضب من أمام السائق ، جعلها

تنسى أخذ النقود التي تركها (أحمد) معه ..

وشحب وجهها ، وقد تكشّفت أمامها مشكلتها

على نحو مخيف ..

وفجأة .. انتزعها من توترها وشحوبها صغير

إعجاب متصل ، وسمعت صوتاً يهتف بعبارة فرنسية .

لم تفهم معناها ، وإن كانت واثقة من أنها تعبر عن
الإعجاب ..

أو أنها إحدى عبارات الغزل التي يتقنها الفرنسيون ..

والتفتت إلى مصدر الصغير في حلق ، وارتفع

حاجبها الجميلان في دهشة ، وهي تتطلع إلى صاحبه ..

لقد كان شاباً في أوائل العشرينات ، لا يشبه

الباريسيين بأي حال من الأحوال ..

صحيح أنه طويل القامة ، نحيل مثلهم ، ولكن

بشرته القمحية ، وشعره المجعد ، وعينه السوداوين

كانت أبعد ما يكون عن الملامح الفرنسية ..

وانتقلت ببصرها في حيرة إلى الثياب البسيطة التي

يرتديها ..

السترة الجلدية ، والقميص الأبيض ، وذلك

السروال الأمريكي الشهير (البلوجينز) ..

ثم عقدت حاجبيها في غضب ، وأشاحت بوجهها

بعيداً عنه ، ولكنه عاد يحادثها بالفرنسية ، وتحرك

ليواجهها ، وهو يتحدث في مرح ..

وتضاعف غضبها ..

أرادت أن تصرخ في وجهه ، أو تصفعه ، ولكن
شعورها بالوحدة ، وقلقها ، منعها من ذلك ، فعادت
تشبح بوجهها إلى الجانب الآخر ، وتمطّ شفتيها في
ازدراء ، وهي تغغم في حق :
— يا للسخافة !

تحركت قدمها لتبتعد عنه في سرعة ، ولكنها لم
تلبث أن تجمّدت في مكانها ، حينما هتف الشاب في
دهشة ، وبلهجة مصرية خالصة :

— يا إلهي !! .. أنت مصرية ؟

استدارت إليه في دهشة مماثلة ، وهتفت :

— وأنت مصرى ؟ !

لاحظت احمرار وجنتيه خجلا ، على الرغم من
بشرته القمحية ، وهو يغغم في ارتباك :

— معذرة .. لقد ظننتك فرنسية ، وهنّ — كما

تعلمين — لا يغضبين لعبارات الغزل .

تمت ، ولم تزل دهشتها بعد :

***** ٤٤ *****

— لا عليك .

ابتسم في ارتياح . ومدّ كفه يصافحها ، وهو
يقول في مرح :

— اسمي (عصام) .. طالب بالسنة النهائية في كلية
هندسة الإسكندرية ، وأعتقد أنني سيء الحظ للغاية ،
فهذه أول مرة أحاول فيها مغازلة فرنسية ، وهأنذا أجد
نفسى أمام مصرية .. وكأننى لم أغادر مصر بعد .

ضحكت وهي تصافحه ، قائلة :

— إنه عالم صغير .

ضحك بدوره ، وقال :

— لم أتصوره صغيراً إلى هذا الحد .

ثم عادت لهجته إلى جدّيتها ، وهو يردف :

— لقد خدعتنى ملاحظك في الواقع ، فهذا الشعر

الكستنائى الناعم ، وتلك العيون الفيروزية النادرة جعلتني
أظنّ ..

ارتبك مرة أخرى . وهو يبحث عمّا يكمل به

عبارته ، فضحكت هي . وقالت :

***** ٤٥ *****

- من حسن حظك أننى لم أتعامل معك بطبيعة
مصرية ، وإلا كنت صفعتك وسط الطريق ، وتركتك
تحاول شرح موقفك للباريسيين .

ابتسم فى خجل ، وقال :

- يبدو أنك لا تعرفين الباريسيين ، فلو أنك
صفعتنى وركلتنى وسط الطريق ، لن يتقدم أحدهم
ليسأل عن السبب ، بل سيكتفون بالابتسام ، ويمضون
فى طريقهم ، وهم يظنوننا عاشقين ساور أحدهما
الغضب .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، لهذا التشبيه الذى
استخدمه ، ويبدو أنه لاحظ ذلك ، فقد أسرع يتابع :
- ولكن لو أننى صفعتك فسيحدث العكس ،
ويندفع العشرات للومى وتقريعى ، فهم مصابون بضعف
شديد أمام الجمال .

تضاعف خجلها ، ونمغمت فى ارتباك :

- ربما .

ثم اغتصبت ابتسامة مرحة ، وهى تقول :

- تسعدنى مقابلتك يا (عصام) ، وسأتركك الآن ،
فأمامى وقت طويل قبل أن أهتدى إلى فندقى .

ابتسم وهو يقول فى مرح :

- هناك طريقة توفر الوقت .. يمكنك ركوب
إحدى سيارات الأجرة .

ضحكت وهى تقول :

- سيكون ذلك أكثر صعوبة فى الواقع ، فلقد
نسيت نقودى كلها فى الفندق ، ثم إننى لا أتحدث
الفرنسية .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- يا لك من مغامرة !!!.. أتجولين فى (باريس)
دون نقود أو لغة ؟

هزت كتفها ، وقالت :

- هذا قدرى .

أدهشتها نظرة الحنان ، التى ارتسمت فى عينيه ،
وهو يهمس :

- بل هو قدرى أنا .

نبض قلبها أمام كلماته الدافئة ، وتملكها شعور
عجيب عجزت عن تفسيره ، وتدفقت دماء الحجل
الحارة في وجهها ، فخفضت عينيها وهي ترتجف ، إلا
أن صوته استعاد نبرة المرح في سرعة ، وهو يردف :
— لم تعد هناك مشكلة إذن ، فأنا أجيد الفرنسية ،
ويمكنني إقراضك بعض الفرنكات ، ومن حسن حظك
أنه يوم إجازتي ، وسيسعدني أن أعمل كترجم خاص
لك طيلة النهار .

ازداد ارتجافها ، وهي تتأمل ملامحه مرة ثانية ..
بدا لها شاباً عادياً ، يمكنه أن يضيع وسط الآلاف
من شباب مصر ، دون أن يجد المرء سمة واحدة تميّزه .
ولكن شيئاً ما جذبها إليه ..

شيئاً عجزت عن تفسيره ، وهو يستطرد في اهتمام
حنون :

— ولكن كيف ضللت طريقك ؟ .. أين كنت
تنوين الذهاب ؟

هزّت كتفيها ، وابتسمت في ارتباك ، وهي تغغم :

— لقد أردت زيارة برج (إيفل) ، ولكن ..

قاطعها وهو يهتف في مرح :

— يا للمصادفة !! .. لقد كنت في طريقى إلى

هناك .. هذا طريف ، دعينا نذهب أولاً إلى برج (إيفل)
ثم أعيذك إلى فندقك .

تردّدت طويلاً أمام عرضه ..

إنه شاب غريب عنها ، لم تعرفه إلا منذ لحظات ..

كيف يمكنها أن تثق به ؟ ..

كيف لها أن تأمن له ؟ ..

ولكن ذلك الشيء الغامض في أعماقها ، والذي

لا تجد له اسماً أو تفسيراً ، منعها من رفض عرضه ..

ولقد دهشت هي نفسها ، وبدا لها ، وكأن أخرى

تحدث ، حينما قالت في بساطة :

— لا بأس .. إننى أتمنى رؤية برج (إيفل) منذ

زمن طويل .

اتسعت ابتسامته في سعادة وارتياح ، وهتف في

حماس :

— هيّا بنا إذن .

ثم عاد يعقد جاجبيه ، ويسألها بغتة :

— ولكن .. ولكنى لم أعرف اسمك بعد .

عاد الخجل يملأ نفسها ، وهى تقول :

— اسمى (شادن) .. طالبة بالسنة النهائية ، بكلية

تجارة القاهرة .

نهلت أساريره ، وقال وهو يشرّد ببصره بعيداً :

— (شادن) !! .. يا له من اسم موسيقى جذّاب !!

ثم عاد يقول فى حماس :

— هيّا بنا إذن يا (شادن) .. سأجعلك تشاهدين

(باريس) كلها .

سارت إلى جواره ، وقد انتقل إليها حماسه ،

وشعرت أنها لم تعد وحيدة ..

لقد صار لها صديق ..

٥ — مدينة الحب ..

انظري إلى (باريس) يا (شادن) .. ها هى ذى

مدينة الفن والحب والجمال تمتد أمامنا .. انظري إلى نهر

(السين) ، وهو يشق المدينة فى نعومة وانسياب ، وإلى

تلك المنازل القديمة ، ذات الأسطح المائلة ، التى تعود

بالأذهان إلى قرن مضى .. وها هو ذا قصر (الإيليزيه)

بشموخته وعظمته ، وهناك قوس النصر ، ومتحف

(اللوفر) ، وشارع (الشانزليزيه) .. إنها (باريس)

يا (شادن) .. إنها مدينة الحب .

انسابت هذه الكلمات من بين شفّتى (عصام) فى

انبهار ، ورقة ، وشاعرية ، وانتقلت إلى أعماق

(شادن) ، التى استندت إلى شرفة الطابق العلوى من

برج (إيفل) تتطلع بدورها إلى (باريس) ، وتستمتع

إلى (عصام) فى نشوة وسعادة ..

وواصل هو فى حنان :

— إنك لم ترىّ الغروب من قمة (إيفل) يا (شادن) ..

إنه أروع مشهد تقع عليه عيون البشر ، وهناك مثل

فرنسي يقول : « من لم ير الغروب من قمة (إيفل)
ليس بفرنسي ، ولم يزر (فرنسا) بعد » .

شعرت بارتحاء جميل في جسدها ، وهي تستمع
إليه ، في حين تنهد هو ، وقال :

— كل عشاق (باريس) يحضرون إلى هنا لحظة
الغروب ، ويراقبون قرص الشمس وهو يختصر في
الأفق .

غمغمت في رقة :

— لا تستخدم هذا المصطلح يا (عصام) .. إنني
أفضل أن نقول إنه يولد في مكان آخر .

غمغم وهو يتطلع إلى جمالها الفتان في حنان :

— نعم يا (شادن) .. إنه ميلاد جديد .

— ارتجفت حينما مس كفها المسترخية فوق حاجز
الشرفة بأنامله . وأزاحت كفها بعيداً عنه في رقة ،
وخفضت عينيها في خجل ..

وساد بينهما صمت ثقيل ..

كان جسدها الصغير يرتعد في ارتباك ، وهي تحاول

وأد ذلك الشعور الجديد ، الذي بدأ يتسلل إلى أعماقها ،
ويداعب شغاف قلبها ..

وتذكرت أنها عروس في شهر العسل ..

عروس لم يمض على زواجها أسبوع واحد ..

وأثار هذا في أعماقها شعوراً قوياً بالحنين ،
وتأنيب الضمير ..

وغمغمت في محاولة منها لمحو هذه المشاعر ، وقطع

ذلك الصمت الثقيل :

— ماذا تفعل هنا ، في (باريس) ، يا (عصام) ؟

حاول أن يبتسم ، ولكن ابتسامته جاءت شاحبة ،

فاترة ، وهو يجيب :

— إنني أعمل .

قالت في دهشة :

— تعمل ؟ ! .. ألم تقل إنك .. ؟

قاطعها ، وهو يكمل عبارتها ، قائلاً :

— طالب في السنة النهائية بهندسة الإسكندرية ..

هذا صحيح ، ولكنني أعمل هنا في الإجازة الصيفية فقط .

عادت تسأله في فضول :

— وماذا تعمل هنا ؟

هزّ كتفيه ، وأجاب في بساطة ، وهو يشرد
ببصره بعيداً :

— أغسل الأطباق في أحد الفنادق الفاخرة .

تضاعفت دهشتها ، وهي تسأله :

— ولكن لماذا ؟ ! .. إنك طالب هندسة و ..

قاطعها في هدوء :

— وماذا ؟ ! .. إنه عمل شريف على أية حال .

ثم استند إلى حاجز الشرفة بدوره ، والتفت
بواجهتها ، قائلاً :

— اسمعي يا (شادن) .. إننى الابن الرابع لأسرة

يبلغ عددها سبعة أفراد . أربعة إخوة ، وأختان .

وأب موظف في هيئة التصنيع ، وأم حنون . لم تتلق

قدرأ كافياً من التعليم ، ولكنها تحسن تربيتهما . وتمنحنا

حباً وحناناً واهتماماً تعجز عنهما أخرى حاصلة على

درجة الدكتوراه ، وأنا أعمل في الإجازات الصيفية منذ

كنت في المرحلة الثانوية . وأحلم منذ زمن طويل بزيارة

(باريس) ، ولقد ادخرت مصاريف هذه الرحلة

خمس سنوات كاملة ، وعلى الرغم من ذلك لم أدخر

ما يسمح لى بنزهة سياحية فى (باريس) .. كل ما أمكننى

ادخاره كان يكفى تذكرة الذهاب والعودة .. وعدداً من

الفرنكات . لا يسمح لى بقضاء أكثر من ثلاثة أيام هنا .

صمت لحظة ، وكأنه يسترجع ذكرياته ، ثم تابع

فى هدوء :

— وكان على أن أبحث عن عمل مناسب . حتى

يمكننى قضاء أكبر وقت ممكن هنا .. فى (باريس) ..

وكان هذا هو العمل الوحيد ، الذى عثرت عليه ، وهو

يكفى نفقاتى ، ونزهاى المتواضعة .

تطلعت إلى وجهه فى حنان ، وهى تقول فى همس :

— أنت شاب مكافح يا (عصام) .

ابتسم فى حزن ، وقال :

— كل إنسان يكافح فى هذا العالم ، بحثاً عما

يفتقده يا (شادن) .

سألته في حنان :

— وماذا تفتقد أنت يا (عصام) ؟

أدار عينيه إليها ، واحتوى بهما وجهها كله ،
دون أن ينطق بكلمة واحدة ..

وارتجفت ..

ارتجفت من قمة رأسها ، حتى أخمص قدميها ..

وعاد ذلك الشعور الغامض يكتسح وجدانها ،
ويحفر آثاره في أعماقها ..

ولكنها لم تحجل ..

ولم تخفض عينيها ..

كان ذلك الشعور قوياً جارفاً هذه المرة ، حتى أنه
أزاح أمامه كل المشاعر الأخرى ..

ولم تشعر بأصابع (عصام) . وهي تتسلسل إلى
أصابعها ، وتحتضنها في حنان ودفء ..

لم تشعر بها . إلا عندما قال في همس رقيق :

— (شادن) .. هل ننتظر لنشاهد الغروب معاً ،

من قمة (إيفل) ؟

فهمت ما يقصده ، وارتعدت كفها بين أصابعه ،
وأرادت أن تجذب يدها من يده ، ولكنه قبض عليها
في قوة ، وهتف في انفعال ، ولهفة :

— (شادن) .. أنا أحبك .. صدقيني لست أعرف
كيف حدث هذا ، ولكنني أحبك ..

عادت تحاول جذب يدها من يده ، وهي تفر
بعينيها من عينيه ، وتقول في توتر :

— كلاً يا (عصام) .. كلاً ..

امتلاً صوته بالحب ، وهو يقول :

— أعلم أن الوقت الذي تعارفنا فيه لا يكفي لذلك ،
ولكنني أشعر وكأنني أعرفك منذ زمن طويل .. صدقيني
يا (شادن) .. أنا أحبك .. أحبك ..

جذبت يدها من يده في قوة ، واغرورت عيناها
بالدموع ، وهي تهتف :

— لا تقل هذا يا (عصام) .. لا تقل هذا .

عاد يلتقط يدها ، ويرفعها إلى وجهه ، قائلاً في
لهجة أقرب إلى الضراعة :

- صدقيني يا (شادن) .. أنا لا أخطئ أبداً فهم
مشاعري .. إنني أحبك يا (شادن) .. أحبك و ..
توقفت الكلمات في حلقه بغتة ، واتسعت عيناه في
ذهول ، وتصلبت شفتاه ، وهو يحدق في دبله الزواج
الذهبية ، التي تتألق في وسطاها ، خلف خاتم ذهب
كبير ، أخفاها عن عينيه منذ البداية ، وارتجف صوته
وهو يغمغم :

- أنت متزوجة ؟ !

وتحوّلت غمغمته إلى صرخة ، حملت كل جزعه
ودهشته :

- أنت متزوجة يا (شادن) .

تفجّرت دموعها كالفيضان ، وانتزعت كفها من
يده في حدة ، وانطلقت تعدو نحو المصعد ، وتوقف
هو كالمصعوق ، يحدق فيها ، حتى بدأ المصعد هبوطه ..
وهنا تبخر ذهوله ، وتلاشى تسمّره ..
لم يعد يعنيه ما إذا كانت متزوجة أم لا ..
لم يعنه إلا شيء واحد ..

أنه سيفقدّها ..

إنها تنصرف أمام عينيه ..
وانطلق يعدو نحو المصعد ، وكأنه يحاول إيقافه ،
وصرخ في لوعة :

- (شادن) .. أرجوك .

وأطلقت صرخته الملتاعة سيل دموعها الفياض ،
وضغطت أذنيها بكفيها في قوة ، وكأنها تحاول منع ندائه
من الوصول إلى عقلها .

ولكن ذلك لم يمنع النداء ..

استمر يتسلل إلى أعماقها ..

إلى مشاعرها ..

إلى قلبها ..

وبدا لها المصعد ، وكأنه يستغرق دهرأ في هبوطه ..
ولم يكده يتوقف في الطابق الأرضي حتى اندفعت
خارجة وهي تبكي ، ولوحت بكفها لإحدى سيارات
الأجرة ، ونسيت جهلها بالفرنسية ، وهي تقفز داخلها ..
ونسيت أنها لا تملك نقوداً ..

ونطقت بكلمة واحدة :

- (ريتز) .

وانطلق السائق دون أن يسألها أية إضافة ، وقد بدا
له فندق (ريتز) أكثر شهرة من أن يحتاج إلى ذلك ..
انطلق يشق شوارع (باريس) في طريقه إليه ..
انطلق وسط مدينة الحب .

* * *



* * * * * ٦٠ * * * * *

٦ - المذابح ..

توقفت سيارة الأجرة أمام فندق (ريتز) ، وأشار
إليه السائق ، وهو يقول في احترام :
- فندق (ريتز) يا مدموازيل .

تذكرت (شادن) في هذه اللحظة فقط أنها لا تملك
نقوداً ، وشحب وجهها ، وزاد ارتباكها ، ودموعها
من شحوبها ، حتى أن السائق عاد يسألها في قلق :
- أتعانين مشكلة ما يا مدموازيل ؟

لم تفهم عبارته ، وازداد توترها وهي تحاول
شرح موقفها له ، وتطلع إليها السائق في مزيج من
الدهشة والقلق ، ثم أسرع يفتح باب السيارة المجاور
لها ، وهو يسألها في لطفة :

- هل أطلب إحضار طبيب ؟

تطلعت إليه في حيرة وتوتر ، وزاد موقفها هذا
من دموعها التي بللت وجهها كله ، وأثارت جزع
السائق وقلقه وحيرته ..

* * * * * ٦١ * * * * *

وفجأة انتشلها صوت مألوف من عذابها وخوفها
وحيرتها ..

صوت (أحمد) ، وهو يهتف في لطفة وتوتر :
- (شادن) !! .. أين كنت ؟ ! .. لقد أثرت
مخاوفي حتى الأعماق .

وألقت نفسها بين ذراعيه ..
وانفجرت تبكى وتنتحب ، وهي تصرخ في ألم :
- لماذا تركتني وحدي ؟ .. لماذا ؟

ضمها إلى صدره في دهشة وجزع ، وطلب من
سائق سيارته أن ينقد سائق سيارة الأجرة أجره ، وقادها
إلى الفندق ، وهو يقول في حنان وقلق :

- ماذا بك يا (شادن) ؟ .. ماذا حدث يا حبيبتى ؟ ..
لم تستطع إجابته من فرط بكائها الحار ..
ظلت تبكى على صدره حتى وصلا إلى جناحهما ،

وهناك كرّر سؤاله ، وقد تضاعف قلقه ، وتعاضمت
حيرته :

- ماذا بك يا (شادن) ؟

***** ٦٢ *****

هتفت في ألم :

- لماذا تركتني وحدي دون نقود ؟ .. لقد ضللت
طريقي ، ولم أجد أحداً إلى جوارى .

تطلّع إليها في دهشة ، ونغم في حيرة :
- ولكنني تركت لك مبلغاً كبيراً يا (شادن) ..
وتركت معك السائق والسيارة .. أنت التي ..

قاطعته في سخط :
- كنت أريدك أنت .. لقد تركتني وكدت آ ..

بترت عبارتها دفعة واحدة ، قبل أن تقول إنها
كادت تقع في حب رجل آخر ، وغص حلقها بالعبرة
التي لم تنطقها ، فتضاعفت حدة بكائها ، مما جعله
يهتف في قلق :

- ماذا بك يا (شادن) ؟ .. إنني لم أرك تبكين
على هذا النحو .

صرخت من أعماقها :
- ومتى تراني ؟ ! .. إنك لا توليني أقل قدر
من الاهتمام ، منذ وصلنا إلى (باريس) .

***** ٦٣ *****

عبّرت عبارتها عن كل السخط في أعماقها ،
ولكنها لم تتجاوز شفقتها ، بل تحوّلت إلى مزيد من
الدموع ، فربّيت (أحمد) على كتفها في عطف ، وقال
في حنان :

— أكل هذا لأنك كدت تضلين الطريق ؟
هتفت في حنق :

— إني لا أعرف الفرنسية .

رفع حاجبيه ، وهو يقول في حنان :

— يا إلهي !! .. لم أكن أعرف ذلك يا حبيبتى ..

صدقيني .

مرة أخرى صرخ سخطها في أعماقها :

— لم تكن تعرف ذلك ؟ ! .. وما الذي تعرفه

عني ؟ .. بل ما الذي حاولت أن تعرفه عني ؟

ومرة أخرى لم تتجاوز صرختها شفقتها ..

ومرة أخرى ربّيت على كتفها في عطف ، ونمغم :

— لقد انتهى كل شيء يا (شادن) .. انتهى كل

شيء ..

***** ٦٤ *****

تركته يجفف دموعها بأصابعه في رقة ، وهي تفكر
في عبارته ..

أى شيء هذا الذي انتهى ؟ ..

حبيما ؟ .. زواجهما ؟ ..

أم مشاعرهما نحو (عصام) ؟ ..

وسألته في مزيج من السخرية والمرارة :

— هل توصلت إلى اتفاق مرض مع (بيير

كاردان) ؟

لم يلمح السخرية والمرارة في كلماتها ، وإن أدهشه

مؤالها المباغت هذا ، فأجاب في حيرة :

— ليس بعد يا حبيبتى ، ولكنني امتصصت غضبه

على الأقل ، وأعتقد أنني سأنجح .

صاحت في عصبية :

— متى ؟ .. أبعد أن ينتهي شهر العسل ؟ أم بعد

أن يكره كل منا الآخر ؟

اتسعت عيناه في ذهول ، وهتف :

— يكره كل منا الآخر ؟ ! .. ماذا تعنين يا (شادن) ؟

***** ٦٥ *****

(م ٥ - زهور - حب بلا أرقام)

صاحت في غضب :

- إنك تتعامل معي كما لو كنت كمًا مهملاً ..
كل اهتمامك توليه لعملك فقط .. حتى في شهر العسل ..
حتى في تلك الأيام التي تحلم بها كل عروس .
استمع إليها في دهشة ، ثم غمغم في توتر :
- ولكنني أفعل ذلك من أجلك يا (شادن) ..
من أجلنا معاً .

- ومن قال لك إنني أريد ذلك ؟

- إنه عملي .

- وأنا زوجتك .

- أنت حياتي ، وهو مستقبلي ، والإنسان لا يمكنه

فصل حياته عن مستقبله .

- ولا يمكنه أن يفكر في مستقبله فقط ، دون

النظر إلى حياته .

أمسك كتفها عند هذه النقطة ، وتطأع بعينه

الشفافتين إلى عينيها الفيروزيتين ، وقال في لهجة عجيبة ،

تجمع ما بين الحزم والحنان :

***** ٦٦ *****

- اسمعيني جيداً يا (شادن) .. أنا أيضاً كنت

أحلم بشهر عسل رائع معك في (باريس) ، ولكنني

فوجئت بهذا التخبط في مكتبنا هنا ، وعرفت منذ اليوم

الأول أن الأمور لو سارت على هذا المنوال ، ستخسر

الشركة ما لا يقل عن خمسة ملايين هذا العام ، وثلاث

حجم تعاملها في (باريس) إلى الأبد ، ولم يكن بإمكانني

الوقوف مكتوف الذراعين أمام هذه الكارثة ، بحجة

أنني أقضي شهر عسل .. كان عليّ أولاً أن أنقذ

الشركة ، ولم يكن هذا يحتمل التأخير .

غمغمت في حزن :

- ولكنك تركتني وحدي .

قال في صرامة :

- لم يكن هذا يسعدني أيضاً ، ولكنها ضرورة .

ثم عاد يقول في حنان :

- ثم إن هذا أمر وقتي ، سيزول بزوال المشكلة ،

وسيبقى أمامنا العمر كله ..

قاطعته في حدة :

***** ٦٧ *****

— كفى يا (أحمد) .. لقد سئمت هذه العبارة .

قال في حدة مماثلة :

— ولكنها تعبر عن حقيقة مشاعري تماماً .

وضمَّها إلى صدره ، وهو يقول :

— صدقيني يا (شادن) .. أنا أحبك ، وأكره

أن ينشب بيننا مثل هذا الخلاف ، في بداية حياتنا

الزوجية .. صدقيني يا (شادن) .

تعذبت كثيراً وهي تحاول إقناع نفسها بتصديقه .

كان قلبها يقارن — دون وعي منها — بينه وبين

(عصام) ..

بين أسلوبه العملي ، وأسلوب (عصام) الشاعر

الرقيق ..

بين كلماته الجافة ، وكلمات (عصام) الدافئة

الممتلئة بالمشاعر ..

وزادت المقارنة من عذابها ..

كانت تعلم أنها زوجته هو ..

زوجة (أحمد) ..

وليس من حقها أن تفكر في رجل آخر ..

أو حتى تشعر برجل آخر ..

كان قلبها يرفض هذا المنطق ، ولكن عقلها يؤمن

بصوابه ..

وتضاعف عذابها .. وتعاضم ..

وقال (أحمد) في حنان :

— إنك متعبة وعصبية هذا المساء .. فلنأو الليلة

إلى الفراش ، وغداً أعدك بعشاء فاخر ، ونزهة ليلية

رائعة على ضفاف (السين) .

جففت دموعها ، وهي تغغم :

— أحقاً !؟ .

ضمها إلى صدره ، وهتف في حنان :

— أقسم لك يا حبيبتى .

ودعت الله أن يكون صادقاً ..

وأن ينتهي هذا العذاب ..

٧ - لقاء على ضوء الشموع ..

مرّ الأسبوع التالى من شهر العسل هادئاً ..
صحيح أن (أحمد) كان يترك زوجته وحدها ،
وينطلق لمواصلة محاولاته فى عقد تلك الصفقة الجديدة ،
التي يحلم بها ، مع (بيير كاردان) ، ولكنها لم تعد
تعترض على ذلك ..

كان ذلك الشعور بالذنب ، الذى يملأ قلبها كلما
تذكرت لقاءها مع (عصام) ، فوق قمة (إيفل) ،
يدفعها للتحمّل والصمت ..

كانت تعتبر نفسها قد أخطأت فى حق زوجها ،
حينما مالت مشاعرها نحو رجل آخر ، فى أول أيام
زواجهما ، وكانت تعتقد أن احتمالها لأسلوبه العملى
يكفّر عن خطئها تجاهه ..

ثم إن (أحمد) كان يبذل جهده لاسترضائها ،
حينما يعود من عمله ..

كان يدعوها فى كل مساء لقضاء سهرة أنيقة فى

قلب (باريس) ، ينفق فيها بسخاء ، ويرتادان فيها أفخر
الأمّاكن وأجملها ..

وكانت (شادن) تبذل أقصى جهدها لنسيان
(عصام) ، ولكن أسلوب (أحمد) العملى ، المفرق
فى الواقعية والمنطقية ، كان يدفعها أحياناً لتذكر
شاعرية (عصام) ورقته ، إلا أنها لا تلبث أن تقهر
مشاعرها ، وتحمد ذكرياتها ، حتى تظل وفيّة للرجل
الذى تزوّجته ..

وفى تلك الليلة كانت تشعر بالملل ..
لم تشعر بالحماس عندما سأها (أحمد) فى روتينية :
- أين تريدان الذهاب هذه الليلة ؟

كان هذا السؤال يشف عن مجاملة واضحة ، فهو
يعلم تمام العلم أنها لا تعرف عن (باريس) أكثر مما رأياه
معاً ، باستثناء برج (إيفل) ، الذى زارته وحدها مع
(عصام) ..

وهزّت كتفها فى هدوء ، وهى تقول :

- ليست بى رغبة للخروج هذه الليلة .

خيّل إليها أن ملامحه قد استرخت في ارتياح ،
وكانما كان يأمل أن تأتي إجابتها على هذا النحو ، فانتابها
بعض السخط ، وقالت :

— ما رأيك أن نسهر الليلة في ملهى الفندق ؟ ..
يقولون إن ملهى (ريتز) من أفضل ملاهى (باريس) .
ظهر الضجر على وجهه ، ولكنه أجبر نفسه على
الابتسام ، ونغم في فتور :

— لا بأس .. إنها فكرة رائعة .

وبدا ملولاً ، وهو يرتدى حلة مناسبة للسهرة ،
وكانت تعلم أنه يتمنى قضاء هذه الليلة مسترخياً في
فراشه ، ولكنها تجاهلت رغبته ، وازداد إصرارها على
قضاء السهرة في ملهى الفندق ..

كانت قد قرّرت أن تجعل نفسها جزءاً من حياته ،
حتى وإن لم يعجبه ذلك ، أو يرق له ..

كانت قد قرّرت أن تقاتل من أجل نجاح زواجها ..
وفي تلك الليلة — في ملهى (ريتز) — بدا لها القتال
عسيراً ، بعيد المنال ..

*** ٧٢ ***

لقد كان برنامج ملهى رائعاً ، مليئاً بالفقرات
الجميلة الجذابة ، ولكنه لم يبد أدنى نوع من الاهتمام أو
الاستمتاع به ..

كان يبدو فاتراً ، شاردأ ، ضجرأ ، مما أورثها
خيبة الأمل ..

وحاولت أن تجتذبه لمبادلتها الحديث ، فقالت في
رقّة :

— هل يعجبك العرض ؟

لم يجب سؤاها على الفور ، وإنما ظلّ شاردأ لحظة ،
ثم التفت إليها بغتة ، وكانما تنبه لوجودها ، واغتصب
ابتسامة خالية من أى تعبير ، وهو يقول :

— ماذا قلت يا حبيبتى ؟

تنهدت في ضيق ، وحاولت السيطرة على ضيقها ،
وهي تعاود سؤاله :

— هل أعجبك العرض ؟

تصنّع حماساً زائفاً ، وهو يقول :

— بالطبع .. بالطبع يا عزيزتى ، إنه عرض رائع .

*** ٧٣ ***

شعرت بالغضب من حماسه الزائف ، وسألته
في توتر :

— لقد كانت فقررة الساحر رائعة .. أليس كذلك؟

حافظ على ابتسامته المصطنعة ، وهو يقول :

— بلى يا عزيزتى .. لقد كانت أجمل الفقرات ..

تضاعف غضبها في شدة ..

إنه يحاول خداعها ..

إنه لم يلتفت إلى العرض قط ..

وهي واثقة من ذلك ، فلم تكن هناك أية فقرات
لأى ساحر ..

وكنمت غضبها في أعماقها ..

وحاولت أن تبحث عن وسيلة لجذب انتباهه ..

وسيلة تشعره بها ، وبوجودها ..

وقفزت إلى عقلها بغتة فكرة جديدة ..

أسلوب جديد ، سيجذب انتباهه حتماً ..

وامتلأت نفسها بالحماس مرة أخرى ..

إنه يعشق عمله ، ويجد فيه كل لذته وحياته ..

ستجذبها إليها عن طريق هذا العمل ..

واستنشقت دفعة كبيرة من الهواء ، ملأت بها

صدرها ، وكأنها تستمد منها القوة ، لبدء معركتها من
جديد ..

ومالت نحوه ، ووضعت في صوتها أكبر قدر

ممکن من الاهتمام ، وهي تسأله :

— كيف حال تلك الصفقة الجديدة مع (بيير

كاردان) ؟

لم تكن تتصور أن طريققتها ناجحة إلى هذا الحد ..

لقد جذب سؤالها انتباهه واهتمامه تماماً ، وألقى عنه

كل ما يشعر به من فتور وملل ، وملأ نفسه بحماس

مفاجئ ، ونشاط عجيب ، وهو يجيبها قائلاً :

— أعتقد أنها تسير في الطريق الصحيح .. إن

(بيير) عنيده ، يثق بنفسه ثقة تكاد تصل إلى حد

الغرور ، ويشعر أنه ملك الموضة والأناقة في العالم كله ،

ويريد من كل من حوله أن يتقمصوا دور الرعية ، في

تعاملهم معه ، وأن يمنحوه القدر الكافي من الاحترام

والاهتمام ، وهذا ما أخطأ فيه (حلمي) ، حينما واجه
غطرسته بمثلها .

قالت وهي تتصنع الحماس :

— ولكنك تستطيع اجتذابه مرة أخرى .. أليس
كذلك ؟

أوماً برأسه إيجاباً في ثقة ، وقال :

— أعتقد ذلك يا (شادن) ، فلقد نجحت في إزالة
غضبه على الأقل ، وأنا واثق من أنه لن يعترض ، حينما
أعرض عليه أمر الصفقة الجديدة .

كان حديث العمل هذا يثير في نفسها الملل ، ولكنها

ظلت تفتعل الحماس ، وهي تقول :

— لماذا لم تعرضها عليه إذن ؟

ابتسم ، وقال في هدوء ورصانة :

— لم يحن الوقت بعد يا عزيزتي .. إن خمسة
وتسعين في المائة من الصفقات الراجعة تضيع ، حينما
نعجز عن اختيار الوقت المناسب لإبرامها ، وأنا أعلم
أننى قد أزلت — حتى الآن — سبعين في المائة من غضب

(بيير) ، وهذا لا يكفي لعقد صفقة جديدة معه ، وإلا
لحصلنا على شروط مجحفة ، أما لو انتظرت حتى أمحو
تسعين في المائة من هذا الغضب ، فسنحصل بالتأكيد
على صفقة رابحة .

لم تستطع منع ذلك الحق ، الذى تسلسل إلى صوتها ،
وهي تقول :

— لماذا تذهب إليه يومياً إذن ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

— هذه هي أصول اللعبة يا عزيزتي .

سألته في حدة :

— أية لعبة ؟

ابتسم وهو يقول :

— لعبة التجارة ، والصفقات الراجعة يا عزيزتي ..

إننى أذهب إليه ، وأسأله المشورة في أمور شتى ، وأشيد
به في كل مرة ، وبخبرته ، وعبقريته ، وأربح في كل
مرة جزءاً من ثقته واهتمامه ، حتى إنه لن يتردد طويلاً ،
عندما أعرض عليه أمر تلك الصفقة ، التى أحلم بها .

تنهدت وهي تغغم :
- فلندع الله - سبحانه وتعالى - أن ينتهى كل
ذلك بسرعة .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :
- ماذا تعنين ؟ .. لقد ظننت أنك ..

شعرت أنها ستخسر بعبارتها الأخيرة كل ما ربحته
بأسلوبها الجديد ، فقاطعته وهي تربّت على كفه في
حنان ، وقالت في لهجة ، أرادت أن تودعها كل حبها
وحنانها :

- اسمع يا (أحمد) .. أنا أيضاً أحبك ، وأحاول
أن أشاركك حياتك ومستقبلك ، فهما صنوان لا يفترقان ،
وأنا أشعر بالسعادة ونحن نجلس هنا ، وحدنا ، على
ضوء الشموع ، نتحدث في حب و ..
بترت عبارتها بغتة ، حينما لاحظت أنه لا يستمع
إليها ..

كان يحدّق بعيداً ، والاهتمام يملأ كل خلجة من
خلجاته ..

***** ٧٨ *****

وكان من الواضح أن هناك ما يجذب انتباهه حتى
النخاع ..

وسأله في قلق :
- ماذا هناك يا (أحمد) ؟

أجابها في انفعال :
- إنه هناك .. عند المنضدة التي تواجه باب الملهى .
سأله في حيرة :
- من تعنى ؟

تضاعف انفعاله ، وهو يقول :
- (بيير) .. (بيير كاردان) .
ثم سحب يده من تحت أصابعها وهو يقول في حماس :
- يا لها من فرصة !! لقاء خارج نطاق العمل ..
لقاء عفوى أنيق .

حاولت أن تعترض في تحاذل وهو يغادرها في حماس :
- ولكن يا (أحمد) .. إننا ..

قاطعتها في حرارة ، وهو يسرع الخطا إلى مائدة
ملك الأناقة :

***** ٧٩ *****

— سأعود سريعاً يا حبيبتي .. أرسلني في طلبي حينما
يصل طعام العشاء .

اغرورقت عينها بدموع القهر ، وهي تتابعه
ببصرها يصافح (بيير كاردان) في حرارة وشغف ،
وهذا الأخير يدعو لمشاركته المائدة ..

ولم يتردد (أحمد) ..
شاركه مائدته ، وانهمك معه في حوار حار ،
ونسى زوجته ..

نسيها كما يفعل دائماً ، كلما لاح العمل في الأفق ..
وانحدرت دموع الحنق والألم على وجهها ..
لقد قهرها ..

حطم آمالها كلها دفعة واحدة ..
أفقدتها الرغبة في القتال من أجله ..
وبينما كانت تحاول تخفيف دموعها الغزيرة .
سمعت صوتاً رقيقاً ، يقول بالفرنسية :
— العشاء يا مدام .

تجسّرت الدموع في مقلتيها ، وسرت رجفة باردة

في أوصالها ، واستدارت في ببطء إلى صاحب الصوت ..
الصوت الذي لم تخطئه أذناها ..

ذلك الصوت المفعم بالدفء والحنان والرقّة ..
والتقت عيونهما ..
وشحب وجهاهما ..
وتسمّرا ..

ونغممت هي في شحوب ورجفة :
— (عصام) ؟ !

ومضت لحظة من الصمت ، وهو يقف أمامها في
زى الفندق الرسمي ، ويحمل فوق يديه أطباق العشاء
المعد لها ولزوجها ، ووجهه يزداد شحوباً وامتناعاً ..
ثم انحنى أمامها ..

انحنى في احترام ، كما يفعل مع كل رؤاد الملهى ،
وقال في صوت جاف ، وبالفرنسية :
— طعام العشاء يا سيدتي .

وفي عينيه ترقرقت دموع ألم ..

مضت لحظات من صمت ثقيل ..

ثقیل حتى أن (شادن) شعرت به يجثم على صدرها ، ويعوق أنفاسها ..

و (عصام) يقف أمامها شاحباً ، حزيناً ..
وعينه لا تنظران إليها ..

عيناه اللتان التمتتا بدموع الألم والقهر ..
وعاد يقول في احترام :

- هل أضع العشاء يا سيدتى ؟
سألته في حنان :

- كيف حالك يا (عصام) ؟
أجابها في لهجة رسمية :

- في خير حال ياسيدتى .. هل أضع العشاء ؟
اغرورقت عينها بدمعة صابغة ، وهى تقول في صوت مختنق :

- ضعه .. ما دام يؤرِّقك إلى هذا الحد .

أخذ يصف أطباق الطعام أمامها في رصانة ، دون أن يلتفت إليها ، وراقبته هى لحظة ، ودموعها تنحدر في هدوء على وجنتيها ، ثم سأله في همس :

- لماذا لم تخبرنى أنك تعمل هنا ؟

أجابها في حزن ملموس :

- وِيمَ كان سيفيد ذلك ؟

كان قد انتهى من صف الطعام ، فاعتدل مستطرداً
بنفس اللهجة الرسمية :

- أهنأك خدمة أخرى يمكننى تقديمها ياسيدتى ؟

قالت في حنان :

- اجلس يا (عصام) .. أريد أن أتحدث إليك

قليلاً .

ارتجفت شفثاه ، وكأنه يهمّ بالبكاء ، وغمغم في ألم :

- محظور على العاملين مجالسة السادة ياسيدتى .

وضغط حروف كلمة (السادة) متعمداً ، وكأنه

يؤكد لها ذلك الفارق ، الذى تبين له بينهما ، فقالت في

ضيق :

— إننا صديقين يا (عصام) .

نعمم وهو يطرق برأسه :

— ليس في أثناء العمل ، فإدارة الفندق حازمة في مثل هذه الأمور .

قالت في حلق :

— فلتذهب إدارة الفندق إلى الجحيم .. إنها حرية شخصية .

أجابها في ألم :

— حرية لك وليست لي .. فأنا أحتاج إلى هذا العمل ، وسيكون من العسير أن أحصل على عمل مثله .

ثم عاد ينحني في احترام ، ويستطرد :

— هل يمكنني الانصراف يا سيّدتى ؟

قالت في عصبية وحزن :

— اذهب يا (عصام) ، مادمت تكره رؤيتي إلى

هذا الحد .

تردّد لحظة أمام حزنها ، وتدفق الحنان في عينيه ،

ثم مال نحوها ، وهمس في ارتباك :

***** ٨٤ *****

— سأحصل على إجازتي الأسبوعية بعد باكر ..
الأحد .

تهللت أساريرها ، وهمست في لهفة :

— سأنتظر .

ابتسم في حنان ورقة ..

وابتسمت في أمل وسعادة ..

ثم أسرع ينصرف من أمامها ، وتركها لذلك
الفيض من مشاعرها ..

لقد أيقظت رؤية (عصام) كل مشاعرها نحوه ..

أيقظت احتياجها إلى رفته وشاعريته ، وحنانه ..

وحطّمت كل مقاوماتها له ..

لقد باتت تشعر أن السعادة ستهبّ على حياتها

بعد غد ..

وغرقت في بحر من الأحلام الوردية الناعمة ..

كانت تسبح في هذا البحر الحالم ، حينما سمعت

صوت زوجها ، يقول في حماس :

***** ٨٥ *****

— لقد باتت الصفقة قاب قوسين أو أدنى منّا
ياعزيزتى .

انتزعته عبارته من أحلامها ، وحطمت أمواج
بحرها الوردى على صخرة الواقع ، وأيقظت خوفها ،
وشعورها بالذنب والخيانة ..

وتطلّعت إليه في دهشة وهو يجلس أمامها ،
وارتجفت وكأنه ضبطها متلبسة بخيانتته وشحب وجهها ،
وكانها تعترف بخيانتها ..

ولكنه لم ينتبه إلى هذا أيضاً ..
كان اقترابه من النجاح قد ولّد في أعماقه فرحاً
غامراً ، أنساه كل ما حوله ، ومن حوله ..

وأقدم على الطعام في شهية ..
وأحجمت هي عنه وقد ضاعت شهيتها ..
كانت تفكّر في (عصام) ، وفي ذلك الموعد الذى
سيضمهما مرة ثانية ..

واختلطت في أعماقها مجموعة من المشاعر المتباينة ،
المتضاربة ..

امتزجت في أعماقها لفحة اللقاء المرتقب ببشاعة
الخيانة والغدر ..

وعاد الخوف يملأ مشاعرها ، ويتضارب في
أعماقها ، وشعورها بالذنب يتضخّم ويتضاعف ،
ويتعاضم ، حتى صار عملاقاً قوياً ..

وأحنقها أن (أحمد) لم يشعر بما تعانیه ..
لم يشعر بشحوبها وتوترها وارتباكها ..
لم يشعر حتى أنها لم تمس طعام العشاء ..
كانت فرحته باقتراب لحظة النصر تسيطر على كل
مشاعره ..

وفي حجرتهما ، بعد انتهاء السهرة ، سأله في توتر :
— هل ستركنى وحدى غداً أيضاً يا (أحمد) ؟
ابتسم في حنان ، وقال وهو يداعب شعرها الناعم
في رقة :

— لقد اقتربت الأمور من نهايتها يا حبيبتي ..
يوماً على الأكثر وينتهى كل هذا .
سأله في لهجة أقرب إلى الضراعة :

- ألا يمكنك اختصارهما إلى يوم واحد ؟
 ابتسم ، وتحسّس وجهها الفاتن بأنامله ، وهو
 يقول في رقة :
 - أنا أيضاً أحلم بانتهاء هذه المشكلة يا حبيبتي ،
 حتى يمكننا أن ننعم بشهر العسل في هناءة وراحة
 وسعادة .
 أراحت رأسها على صدره ، وترقرقت عيناها
 بالدموع ، وهي تقول في توسّل :
 - أرجوك يا (أحمد) .. حاول أن تنهى كل شيء
 في يوم واحد .
 همس في أذنها بحب :
 - سأبذل كل جهدي يا حبيبتي .. صدّقيني ..
 سأفعل المستحيل لاختصار المدة .
 وظل هذا الأمل يراودها حتى غادرها كعادته في
 الصباح التالي ..
 كانت تأمل أن ينجح في إنهاء هذه الصفقة ،
 وإنهاء حيرتها وعذابها ..

كانت تشعر أنها أصبحت أضعف من أن تقهر
 مشاعرها تجاه (عصام) ..
 وكانت تحتاج إلى مؤازرة ..
 إلى قوة تمنعها من الوقوع في حب رجل آخر ..
 إلى زوجها ..
 وظلت تجوب حجرتها طيلة اليوم ، وتدعو الله
 أن يوقّع (أحمد) عقد الصفقة هذا اليوم ..
 ولم تحاول الخروج من حجرتها ، وكأنها تخشى
 أن تلتقي بـ (عصام) ، وتفقد أمام رفته وشاعريته
 وحنانه آخر حصون مقاومتها ..
 وعاد (أحمد) في المساء ..
 واستقبلته في لهفة وأمل ، وهي تهتف :
 - هل أنهيت الصفقة ؟
 انهارت آمالها ، حينما هزّ رأسه نافياً ، وقال في
 ضيق :
 - لم يمكنني ذلك يا عزيزتي ..
 ثم أردف في حرارة :

- ولكنني واثق من توقيعتها غداً بإذن الله و ..

لم تستمع إلى باقي عبارته ..

لم تعد تشعر بجدوى ذلك ..

لقد اختار لها القدر الطريق ..

اختار أن يهبها آلام القلب ..

وستمضي في الطريق الذي شقه القدر ..

ستمضي فيه إلى النهاية ..



***** ٩٠ *****

٩ - موعد حب ..

سرت ارتجافة في جسد (شادن) ، وهي تراقب

(أحمد) ، الذي ارتدى ثيابه على عجل كعادته ،

وتركته يقبّل وجنتها تلك القبلة الآلية ، قبل أن يسرع

إلى لقائه المعتاد مع (بيير كاردان) ، وظل بصرها

معلقاً به حتى أغلق الباب خلفه ..

مرّت لحظة تصلبت فيها كتمثال من المرمر ، وهي

تحاول إثناء نفسها عن هذا اللقاء ، إلا أن مقاومتها

لم تفلح هذه المرة ...

لقد كانت ترغب في هذا اللقاء حتى الأعماق ..

كانت تشعر أنها في مسيس الحاجة لجرعة من حنان

(عصام) ورقّته ..

إنها تتلهّف للشعور بأنها كائن حي ، له مشاعره

وأحاسيسه ..

و (أحمد) يصرّ على منحها شعوراً عكسياً ..

إنها تشعر معه وكأنها مجموعة من أرقام عمله ..

***** ٩١ *****

حتى حينما يغازلها ، لا يمكنه التخلي عن أرقامه ..
إنه يضع نسبة مئوية لجماها ورقتها ، وأخرى لحنانها
ونعومتها ، وثالثة .. ورابعة ..

إنه لا يجيد الحديث إلا بالأرقام ..
ولقد أصبحت تمت هذا الأسلوب ..
وعقدت في أعماقها مقارنة بينه وبين أسلوب
(عصام) الشاعرى ..

عقدت المقارنة ، وهى ترتدى نفس الثوب
الأزرق ، الذى رآها فيه (عصام) لأول مرة ،
وتركت نفسها بلا زينة ، وعقست شعرها ، على النحو
نفسه ، خلف رأسها ، وتركت خصلته الشبيهة بذيل
الحصان تنسدل على ظهرها فى رقة ونعومة ..
كانت تبدو على نفس النحو ، الذى رآها فيه
(عصام) فى لقاءهما السابق ..

ولكن وجهها كان هذه المرة شاحباً ، وجيها
مكتظ بالفرنكات التى تركها لها (أحمد) ..
وبدت شديدة الارتباك ، وهى تقف أمام الفندق ..

لم تكن تعلم كيف ستلتقى بـ (عصام) ، ومتى ؟
لقد اتفقا على اللقاء فى عجلة وسرعة ، حتى أنها
لم تفكر فى كيفية اللقاء .

ولم تنتبه إلى ذلك حتى هذه اللحظة ..
وبينما هى غارقة فى حيرتها وقلقها ، سمعت من
خلفها صوته الرقيق ، وهو يهمس :
— تماماً كما رأيتك أول مرة .

استدارت إليه فى لهفة ، وتألفت عيناها فى فرح ..
كان هو أيضاً يرتدى الزى نفسه ، الذى رآته فيه
أول مرة ..
السترة الجلدية ، والقميص الأبيض ، والسروال
الأمريكى الأزرق ..

وشعرت وكأنهما لم يفترقا منذ لقاءهما السابق ..
ونغمست فى حنان :
— كيف حالك ؟

ابتسم وهو يجيب بلهجته الحاملة :
— كيف حالك أنت ؟

سارا متجاورين ، دون أن يتبادل أحدهما كلمة
واحدة مع الآخر ..

ولم تشعر هذه المرة بمن حولها ..
لم تلتفت إلى المعروضات الأنيقة ، التي تمتاز بها
(باريس) ..

لم تكن تشعر إلا به ..
وهو أيضاً لم يكن يشعر إلا بها ..
طال صمتها ، وهما يقطعان الشوارع في خطوات
رتيبة ، متجاورة ، حتى سأله في صوت أقرب إلى الهمس :
— إلى أين نذهب ؟

أجابها في همس مماثل :
— سنذهب إلى مكان بسيط ، لا يليق بسيّدة مجتمع
مثلك .

هتفت في عتاب واستنكار :
— هل تصرّ على مخاطبتي بهذا الأسلوب ؟
عاد إلى صمته لحظات ، واكتسى وجهه ببعض
الحزن ، وهو يقول :

***** ٩٤ *****

— أليست هذه هي الحقيقة ؟

عقدت حاجبها ، وهي تقول في ضيق :

— الحقيقة هي ما نصنعه بأنفسنا .

— الحقيقة لا يصنعها أحد ، وإلا ما كان اسمها

حقيقة .. إنها الشيء الذي لا يمكن أن ينكره أحد .

— أنت مخطئ يا (عصام) ، لو أن الجميع

لا ينكرون الحقيقة ، ما كانت هناك مشاكل في هذا
العالم .

— الحقيقة تفرض نفسها في النهاية .

— هذا لو استسلمنا لها .

— لن تفيد محاربتها .

— بالعكس .. إننا بقتالها قد نصنع حقيقة جديدة ..

حقيقة تناسب حياتنا .

— إن ما نصنعه لا يطلق عليه اسم الحقيقة ، إنه أشبه

بذلك العالم الوهمي ، الذي تصنعه المخدرات في حياة

المدمن .. حقيقة زائفة ، نخدعنا ، وتحجب عنا

الحقيقة الفعلية .

***** ٩٥ *****

— أنت متشائم .

— بل واقعي .

— لماذا نصرّ دائماً على إطلاق صفة الواقعية على

استسلامنا ؟

— ليس استسلاماً يا (شادن) .. إنه اعتراف

بمسلمات الأمور .

— وما الذي يجعلها أموراً مسلماً بها ؟

— الواقع .

— ولماذا لا نحاول تغيير هذا الواقع ؟

— هذا مستحيل .

— لا يوجد أمر لا يمكن تغييره ، إذا ما توافرت

الإرادة .

— إذا ما نجحنا في تغييره يفقد صفة الواقع .

— وما هو الواقع هذا ؟

توقف عن السير ، وتوقفت بدورها ، والتفت

إليها ، ونظر في عينيها مباشرة ، وقال :

— الواقع يا (شادن) هو أنك متزوجة ، وزوجك

***** ٩٦ *****

رجل وسيم ، أنيق ، ثري ، لا يجلد المرء فيه عيباً
واحداً .. والواقع أيضاً هو أنني شاب عادي ، أقرب
إلى الفقر ، يكاد ستة أيام في الأسبوع ، حتى ينحط
بيوم واحد ، يمكنه الشعور فيه بسعادته ، وقطف ثمار
عمله .

ارتجف صوتها ، وهي تغغم :

— وماذا يعني ذلك ؟

عاد إلى سيره ، وأبعد عينيّه عن عينيها وهو يقول :

— يعني الكثير يا (شادن) .

ثم ابتسم ابتسامة حزينة ، وأردف في خفوت :

— لقد كنت تتحلين أمس بحلى يكفي ثمنها

لإنعاش أسرتي لأعوام كاملة .

غمغمت في ارتباك :

— أهذا ما يشير حزنك إلى هذا الحد ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب بنفس الابتسامة الحزينة :

— كلاً يا (شادن) .. إنها مجرد ملحوظة .

تمت في ألم :

***** ٩٧ *****

(م ٧ - زهور - حب بلا أرقام)

— ملحوظة جارحة .

نغمم في ارتباك :

— إننى لم أقصد ذلك .. صدقيني .

ثم عاد يتوقف عن السير ، ويقول في هدوء :

— لقد وصلنا تقريباً .

تأملت في المكان بعينها في اهتمام ، وسألته :

— أين نحن ؟

أجابها في هدوء :

— في حي (الشانزليزيه) .. أشهر أحياء (باريس) .

ابتسمت ، وهى تقول :

— أترسمى هذا مكاناً متواضعاً ؟

ابتسم ، وقال :

— إننا لن نجوّل في (الشانزليزيه) ، بل سنذهب

إلى مقهى صغير فيه .

سألته في دهشة :

— مقهى صغير ؟! .. أتوجد مقاهٍ هنا في

(باريس) ؟

***** ٩٨ *****

ضحك وهو يجيب في مرح :

— بالطبع يا (شادن) ، وهذا المقهى بالذات

يعرفه كل المصريين هنا .

تألفت عينها في جذل طفولى ، وهى تقول :

— إنك تثير فضولى .

ارتجف جسدها ، وتصاعدت حمرة الخجل إلى

وجنتها ، حينما همس في حب :

— وأنت تفجّرين كل مشاعر الحب في أعماق

يا (شادن) .

خفضت عينها في خجل وسعادة ، وخفق قلبها

بين ضلوعها في فرح ، وتركته يلتقط كفها في راحته ،

ويقول في همس :

— هيّا بنا يا (شادن) .. سأنقلك إلى قطعة من

مصر ، في قلب (باريس) .

شعرت لحظة أنها مراقة ، في موعد حبها الأول .

ثم تذكرت (أحمد) ..

تذكرت أنها امرأة متروّجة ..

***** ٩٩ *****

١٠ - حديث القلب ..

كان ذلك المقهى الصغير ، فى حى (الشانزليزيه) ،
مفاجأة حقيقية لـ (شادن) ..

لقد كان يغص بالمصريين ..
حتى عمال المقهى أنفسهم ، كانوا من المصريين ..
عرفت كم كان (عصام) صادقاً ، حينما قال إنه
سيذهب بها إلى قطعة من مصر ، فى قلب (باريس) ..
كان مجتمعاً مصرياً صغيراً ، يفيض بالمرح ،
والترابط ، والحب ..

ولقد شعرت (شادن) بسعادة جمّة ، وسط هذا
المجتمع الصغير ..

لقد استقبلها الجميع فى ترحاب وبساطة ، ولم تجد
صعوبة فى الاندماج وسطهم ، والانضمام إلى مجتمعهم ..
وكان أغلبهم من الشباب ..

هذا يدرس فى (السوربون) ، وذاك يتلقى دروساً
فى التمثيل ، وتلك تزور (فرنسا) بحثاً عن عمل ..
وغيرهم .. وغيرهم ..

وسحبت أصابعها من كف (عصام) فى هدوء ،
ولم يحاول هو استبقاء كفها فى راحته على الرغم منها ،
وابتسم حينما قالت فى ارتباك :
- هيّا بنا ..

واتجهها إلى ذلك المقهى الصغير ، فى قلب (باريس) ..
اتجهها إليه كعاشقين ، ينسجان موعد حبهما الأول ..

* * *



* * * ١٠٠ * * *

* * * ١٠١ * * *

وهناك تناولت الأطعمة المصرية ، والقهوة المصرية ،
وعاشت في قالب مصرى خالص ..
ولقد أدهشها المكان جداً ، وزادت دهشتها حينما
علمت أن كل مصرى يزور (باريس) يعرفه ،
ويذهب إليه ..

ومرّ الوقت سريعاً ، كما يحدث دائماً في الأوقات
السريعة ..

ووجدت نفسها مرة أخرى تسير إلى جوار (عصام) ،
في طريق العودة ..

كان إعجابها بالمكان ما زال يملأ نفسها ، حينما
قالت في نشوة :

— إنه أجمل يوم قضيته في حياتي كلها .. إنني
أشعر بسعادة بالغة .

نعم ، وهو يتسم في سعادة :

— هذا يسعدني يا (شادن) .

قالت في (حماس) :

— إنهم مجموعة رائعة .. قمة الترابط والتآخي :

***** ١.٢ *****

أوما برأسه موافقاً ، وقال :

— هذا طبعى ؛ لأن غربتهم تجمع بينهم ، ولأنهم
أقلية هنا ، وكل منهم يشترى إلى بيته ، ووطنه ،
ولقائهم معاً كل أسبوع يعيد إليهم دفء الأسرة ،
وجمال الصداقة والرفقة .

سألته في اهتمام :

— هل تأتي إلى هنا دائماً ؟

ابتسم وهو يقول :

— كل أسبوع .

سألته في دهشة :

— ولكننا حينما التقينا في المرة السابقة قلت إنك ..

قاطعها في هدوء :

— كنت أكذب .

ضحكت في مرح ، وقالت :

— يا له من اعتراف !!

أطرق برأسه ، ونغم في لهجة حزينة :

— إنه ليس اعترافى الوحيد يا (شادن) .

***** ١.٣ *****

شعرت بقلبها ينبض في قوة ، وارتجف صوتها ،
وانتقل إليه حياؤها ، وهي تغمغم في صوت أقرب
إلى الهمس :

— وهل لديك اعترافات أخرى ؟

توقّف بغتة ، حتى أنها سبقته بخطوتين ، قبل أن
تتوقف بدورها ، وتلفتت إليه في تساؤل ، فأمسك
كتفها فجأة ، ونظر إلى عينيها الفيروزيتين ، وقال في
انفعال :

— (شادن) .. لقد أحببتك منذ أول لحظة رأيتك
فيها ، وهذا ما جعلني أجرؤ على مغازلتك ، وأنا أظنك
فرنسية ، ولم أكد أكشف أنك مصرية حتى امتلأ قلبي
بالسعادة والأمل ، وكان من الطبيعي أن أكذب ،
حينما قلت إنني كنت في طريقى لزيارة برج (إيفل) ..
لقد كنت أرجو — حينئذ — أن توافقي على مصاحبتى
لك ، وهناك شعرت أنني — على الرغم من تعارفنا
القصير — أذوب عشقاً لك ، وأردت أن أصارحك ،
ثم فوجئت أنك متزوجة و ..

***** ١٠٤ *****

توقف دفعة واحدة ، وعاد يسير دون أن ينظر
إليها ، وسارت هي إلى جواره في صمت ، وهي
تشعر أن كلماته قد وجدت طريقها إلى قلبها ، وازدادت
لهفتها إلى سماعه ، وعاد هو يقول :

— وحينما تركتني ، شعرت أنني أنعس مخلوق في
العالم كله ، وكدت ألقى بنفسى من قمة (إيفل) ،
لألحق بك عند قاعدته ، وأصبحت واثقاً من أنك قد
حملت قلبي معك في فرارك .. وقضيت أسوأ أيام حياتى
بعد ذلك ، وأنا أحلم بك في يقظتى ومنامى ، وأدعو
الله أن نلتقى مرة ثانية .

وابتسم ابتسامة حزينة ، وهو يردف :

— وأفرغت أحزاني وآلامي في عملى ، وكافأتى
رئيس العاملين بترقيتى من غسل الصحون إلى تقديم
الطلبات فى ملهى الفندق .

صمت لحظة ، ثم استطرد في صوت خافت حزين :

— وفى أول أيام عملى هناك ، رأيته مرة ثانية ،

***** ١٠٥ *****

ولا أظن أنني كرهت ترقية في حياتي ، كما كرهت
ترقيتي في تلك الليلة .

نعمت في أسي :

- لأنك رأيتني ؟

أجابها في ألم :

- بل لأنني وقفت منك موقف الخادم الذليل .

هتفت في حرارة :

- أقسم لك أنني لم أشعر بذلك ، لقد أسعدتني

رؤيتك جداً .

ثم نعمت في خجل :

- لقد شعرت أنك قلدي .

شرّد ببصره لحظة ، ثم قال :

- نعم .. إنه القدير .

عادا إلى صمتها ، وهما يسيران متجاورين ، حتى

عاد (عصام) يتوقف ، وأشار إلى الفندق ، الذي

أصبح على مرمى البصر منهما ، وقال في ضيق :

- ها قد انتهت إذابة الفوارق بين الطبقات

يا (شادن) .. لقد وصلنا إلى الفندق ، وستعودين
سيّدة مجتمع ، وسأعود أنا مجرد خادم في ملهى الفندق .
قالت في ألم :

- لماذا تصرّ على استخدام هذه المصطلحات ؟

هتفت في منحنى :

- لأنها الحقيقة .

لمست ذراعه بأناملها ، وقالت في حنان :

- (عصام) .. أرجوك .

صاح في لهجة تشفّ عن الألم والقهر :

- كلاً يا (شادن) .. لا أريد سماع كلمة فلسفية

واحدة عن ماهيّة الحقيقة ، وعلاقتها بالإرادة البشرية .

كل هذا لن يغير من واقع الأمور .. أنت متزوّجة

يا (شادن) ، وزوجك شاب رائع ، وكل ما نفعله خطأ

يا (شادن) .. خطأ .

دمعت عيناها ، وهي تغتم :

- لا تقل هذا يا (عصام) .

صاح في ألم :

— لماذا ؟ .. هل تحاولين الفرار من الحقيقة ؟ ..
هل تحاولين تغليفها بغلاف من السكر ، كما تفعل
شركات الأدوية بالأقراص ذات المذاق المر ؟
سالت دموع الألم من عينيها ، وهي تغمغم :
— حاول أن تفهمنى .

عض شفته السفلى ، وهو يقول فى قهر :
— ماذا أفهم ؟ .. لا يوجد ما يحتاج إلى الفهم
يا (شادن) .. كل الأمور واضحة ..
ثم أردف فى حزم :

— لا ينبغي أن نتقابل مرة ثانية يا (شادن) .. أبداً .
وقبل أن تنطق بكلمة واحدة ، اندفع إلى الفندق
بخطوات سريعة ، أقرب إلى العدو ، وهتفت هى باسمه
فى لوعة ، وحاولت أن تلتحق به ، ولكنه اختفى داخل
الفندق ..

بكت طويلاً ، وهى تصعد إلى جناحها ..
بكت حباً ، وأملها ، ومستقبلها ..
وفوجئت بـ (أحمد) داخل الجناح ..

أسرعت تجفف دموعها ، وتسأله فى حنق :
— ماذا حدث لتعود مبكراً هكذا ؟

ضمها إلى صدره فى لفة ، وهتف فى فرح وحماس :
— لقد وقعت الصفقة مع (بيير كاردان)
يا عزيزتى .. لقد انتهى كل شئ .. سيبدأ الآن شهر
عسلنا الحقيقى .

تفجرت الدموع من عينيها ، وسالت على سترته ،
وهى تقول فى ألم :
— نعم يا (أحمد) . انتهى كل شئ .. كل شئ ..



عجيبة هي دنيانا ..

غريبة هي مشاعرنا ..

لقد كانت (شادن) تنهل إلى الله (سبحانه
وتعالى) كل صباح ومساء ، أن ينتهى (أحمد) من
صفقته ، حتى يمكنهما قضاء وقت سعيد ، وشهر عسل
جميل فى (باريس) ..

كانت تحلم بأن يصحبها إلى برج (إيفل) ،
و (اللوفر) ، و (الشانزليزيه) ..

كانت تحلم بكل هذا ، وتتمناه ..
وحينما تحققت أمنيتها لم تشعر بأى قدر من السعادة ..
كان (عصام) قد استحوذ على مشاعرها كلها ،
ولم يعد بقلبها مكان لـ (أحمد) ..

حتى وهو يضمها إلى صدره ، كانت تفكر فى
(عصام) ..

وعندما طلب منها (أحمد) فى حماس ، أن تختار

***** ١١٠ *****

مكاناً لقضاء سهرتها ، اختارت ملهى الفندق بلا تردد ،
وهى تأمل رؤية (عصام) ..

ولقد بحث عنه بعينها فى المكان كله ، وقلبها
يرتجف فى لهفة وترقب ..
ولكنها لم تلمحه أبداً ..

لم تنتبه إلى (أحمد) ، وهو يقص عليها فى حماس
وسعادة ، كيف أنه نجح فى إقناع (بيير كاردان) ،
وفاز منه بأكثر الصفقات ربحاً ، منذ أنشأ والده الشركة ..
كان عقلها ، وقلبها ، وكيانها كله يبحث عنه ..
فكسرت فى سؤال أحد العاملين عنه ولكنها لم تجرؤ ،
ولم تكن تستطيع ذلك فى الواقع ، لجهلها بالفرنسية ..
والتفت إلى (أحمد) بغتة ، تسأله :

— هل تعلم أن نادل الفندق هنا مصرى ؟
ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهتف فى مرح :
— يا لها من مصادفة !! ولكن كيف عرفت ؟
ارتبكت ، وتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى
تغمغم :

***** ١١١ *****

— لقد تحدثت إليه أمس .. اسمه (عصام) .

تلفت حوله ، وهو يسألها :

— وأين هو ؟

قالت في لهفة :

— لست أدري .. إننى أبحث عنه .

ثم تزايدت حمرة وجهها ، حينما تنبّهت إلى لهفتها الواضحة ، ولكن (أحمد) لم يلاحظ ذلك ، وابتسم وهو يقول :

— يمكننا أن نسأل أحد زملائه .

وصل انفعالها إلى ذروته ، حينما أوقف أحد العاملين ، وتبادل معه حديثاً بالفرنسية .

لقد كان هذا ما ترجوه ..

كانت في أشد اللهفة لمعرفة أى شيء عنه ..

وأحسها أن (أحمد) قد أنهى حديثه مع العامل في بساطة ، وعاد يتناول طعام العشاء ، وهو يهز كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ..

بدلت جهداً خارقاً للسيطرة على لهفتها ، وهي تسأله :

— هل تعلمون أين هو ؟

أجابها في بساطة :

— إنه يوم إجازته الأسبوعية .

تراجعت في مقعدها بحدة ، وأدهشها كيف أنها

لم تنبّه إلى ذلك ؟ ..

لقد خلدعتها لهفتها ، وصوّرت لها أنه يفرّ من رؤيتها ..

ونسيت تماماً أنه يوم إجازته ..

نسيت أنها كانت معه صباح اليوم فقط ، وكانت

تعلم هذه الحقيقة ..

واغتصبت ضحكة مرحة ، وهي تقول :

— ياله من حظ !! سنلتقى به غداً إذن .

عاد (أحمد) يهز كتفيه في لامبالاة ، وقال في بساطة :

— بل لن نلتقى به أبداً .

شحب وجهها ، وهي تسأله في صوت مضطرب :

— ماذا تعنى ؟

أجابها في بساطة ، وهو يتناول طعامه ، دون أن

يرفع عينيه إليها :

— لقد ترك العمل هذا المساء .

انتفض جسدها في قوة ، وغاصت الدماء من
وجهها ، وهي تغغم في ذهول :
— ترك العمل ؟!

مطّ (أحمد) شفتيه ، وقال في هدوء :

— ربما وجد عملاً أفضل ، أو أن إجازته قد انتهت .
التصقت بمقعدها ، وانكشفت فيه ، وفاضت
الدموع من عينيها ، وهو يستطرد في بساطة :
— هذا أمر مألوف بالنسبة للمصريين العاملين هنا ،
هل تعلمين أن عشرين في المائة من الطلاب المصريين ،
الذين يسافرون في الإجازة الصيفية للعمل في أوروبا ،
يختارون (باريس) بالذات ؟ .. وأن ستين في المائة
منهم يعملون هنا دون تصريح عمل رسمي ، وأن البوليس
الفرنسي يعيد ثمانين في المائة من هؤلاء بسبب ...
تركته يستطرد في حديثه المفعم بالأرقام ، وبكت
في ألم ..

لقد فرّ منها ..

غادر المكان كله ، حتى لا يلتقي بها مرة أخرى ..
تخلّى عن عمله ، وحلمه من أجلها ..
ضحّى بحبه حتى لا يفسد حياتها ..
وشعرت بدموعها كالحجم ، تحرق عينيها ، وتلهب
وجنتيها ..

كيف أمكنه أن يفعل ذلك ؟ ..

كيف تخلّى عنها ؟ ..

كيف تصوّر أنه سينقذ حياتها بفراره ؟ ..

ألا يدرى أنه هو حياتها ..

هو أملها .. هو مستقبلها ..

وانتزعها من أفكارها صوت (أحمد) ، وهو يهتف

في دهشة وجزع :

— (شادن) .. ماذا بك ؟ .. إنك تبكين .

أرادت أن تصرخ في وجهه ، وتصرح له بحبها

لـ (عصام) ..

أرادت أن تؤذى مشاعره ، كما حطّم أحلامها

وشاعريتها ، بتجاهله لها في شهر العسل ..

ووجدت نفسها تهتف في حدة وعصبية :
 - أريد العودة إلى مصر .. أريد العودة إليها في
 أسرع وقت ممكن .
 اتسعت عيناه في دهشة ، وغمغم في حيرة :
 - لماذا يا (شادن) ؟ .. لقد بدأنا لتونا شهر
 العسل الحقيقي .
 تفجرت الدموع من عينيها كالفيضان ، وصرخت
 في ألم :
 - أريد العودة إلى مصر ..
 وانهار صوتها وهي تردف في لهجة أقرب إلى التوسل :
 - أرجوك .
 ظهر الألم في ملامحه ، وفتح فيه لينطق بكلمة ما ،
 ولكن يبدو أنه قد قرر فجأة التخلي عنها ، فقد استند إلى
 ظهر مقعده ، وعقد حاجبيه في حزم ، وقال في هدوء :
 - حسناً يا (شادن) .. سنعود إلى مصر في
 الصباح الباكر .

* * *

* * * * * ١١٦ * * * * *

١٢ - العودة ..

سالت الدموع من عيني (شادن) ، وهي تتطلع
 إلى (باريس) من نافذة الطائرة ، وهي تطلع من
 مطار (أورلي) ..
 شعرت أنها تترك قلبها خلفها ..
 وأن حياتها قد انتهت ..
 و (أحمد) يجلس إلى جوارها صامتاً ..
 لم يتبادل معها كلمة واحدة ، منذ أخبرها بموافقته
 على العودة إلى القاهرة ..
 وكان يفكر في السبب ، الذي دعاها لاتخاذ هذا
 القرار المفاجئ ..
 لم يخطر بباله قط أن صفقته هي التي دفعها إلى ذلك ،
 لأن عقله رفض هذا الاقتراض بسرعة ، فقد رأى أنه
 من غير المنطقي أن تثور (شادن) بسبب الصفقة ،
 بعد أن انتهت مشكلتها تماماً ..
 وعجز عقله عن إيجاد تفسير مقنع ..

* * * * * ١١٧ * * * * *

ولكن الدهشة ظلت تملأ كيانه ، وهو يحاول
البحث عن تفسير ..

ولم تخفت دهشته أبداً ، ولم ينته تساؤله ، حتى
هبطت الطائرة في القاهرة ..

ولقد انتقلت دهشته إلى الجميع ..

وأطل من العيون تساؤل صامت حائر ، لم ينتقل
أبداً إلى الشفاه ..

لم يحاول أحد أن يسأل لمّ عاداً ، ولم يحاول أحدهما
شرح ذلك ..

وعادت (شادن) إلى منزلها الجديد الفاخر ، وقد
فقدت اهتمامها به ..

لم يعد ذلك الأثاث الفخم يخلب لبها ..

لم تعد الشرفة المطلة على ضفاف النيل تبهرها ..

ولم يحاول (أحمد) ، لثلاثة أيام كاملة ، أن يسألها

عن سرّ إصرارها على العودة .

وحاول أن يكتم لطفه لمعرفة السر في أعماقه ..

و ذات يوم .. كانت (شادن) تجلس في الشرفة ،

***** ١١٨ *****

وتتطلع إلى القاهرة في شroud ، وقد جعلها المشهد
تتذكر لقاءها الأول مع (عصام) ، وكلماته الرقيقة
الشاعرية ، التي تسلت في حنان إلى قلبها ، وأيقظت
مشاعرها ، التي أخذها (أحمد) بأسلوبه العملي الجاف .

وسالت من عينيها دموع ذكراها في صمت ..
وكانت الدموع تبلّل وجهها ، عندما شعرت بيد
(أحمد) تربّت على كتفها في حنان ، وسمعت صوته ،
الذي يشف عن عذابه وحيرته ، وهو يسألها :

— ماذا حدث يا (شادن) ؟ .. ماذا أصابك ؟

لم تجبه ..

كانت تشعر أنها لو فتحت شفيتها فستنفجر في وجهه ..

ستنبئه بكل مخطئها تجاهه ..

ستمزقه بنصل الحقيقة ..

ولكنه عاد يسألها في إصرار :

— ماذا بك يا (شادن) ؟

أشاحت بوجهها عنه ، دون أن تنبس ببنت شفة ،

فقلّب كفيه في حيرة ، وقال :

***** ١١٩ *****

- لقد عجزت عن تفسير موقفك هذا
يا (شادن) .. وترداد حيرتي كلما أمعنت في التفكير ،
وكلما حاولت إيجاد تعليل ، أجد أنه مقبول بنسبة
عشرين في المائة على الأكثر ، ومرفوض بنسبة الثمانين
في المائة الأخرى ، ولو أنني وجدت تفسيراً أميل إلى
الاقتناع به بنسبة تسعين في الـ ...

قاطعته صارخة في غضب :

- كفى يا (أحمد) .. كفى .. لقد شئت أرقامك
التي لا تنتهى هذه .. شئت ذلك الأسلوب الرقى
الجاف ، الذى تتعامل به في حياتك كلها .. إنك تحيا
بالأرقام ، وتنفس بالأرقام ، وحتى حينما أحبيت ،
لم تنس أرقامك .. حتى عبارات الغزل ، التي تلقىها
على مسامعى ، عبارة عن مجموعات لا تنتهى من الأرقام .

تراجع أمام ثورتها في دهشة ، وقال :

- ربما كان هذا أسلوبى حقاً ، ولكنه لا يعنى أننى

مخلوق بلا مشاعر .

- أية مشاعر هذه ، التي تتحدث عنها ؟ هل
فكرت في نسبة صدق كلماتك هذه ؟

- إننى لا أنطق أبداً إلا بما أشعر به .

- تماماً كالكمبيوتر .. فهو لا يكذب أبداً ،
لأنه يقيم كل شئ بالأرقام .

- وماذا يعيب الأرقام ؟

- إننى أمقتها .. أكرهها .

- ولكنك لا تستطيعين العيش دونها .

- العالم يصبح أجمل دونها .

- مستحيل .. إن الأرقام تملأ كل ركن من

حياتنا .. شئنا أم أبينا .

- هل تحاول تعليل أسلوبك ؟

- كلاً .. ولكننى أحاول وضع الصورة كاملة

أمام عينيك .

- أية صورة هذه ؟ .. صورة رقمية ؟!

- نعم .. فالإنسان لا ينفصل أبداً عن هذه الصورة

الرقمية .. إن تاريخ مولده نفسه مجموعة من الأرقام ،

***** ١٢١ *****

***** ١٢٠ *****

تمثل يوم، وشهر، وسنة مولده، واحتفاله بأعياد ميلاده
التصاقاً منه بالأرقام ، وتاريخ دخوله المدرسة لأول
مرة هو نتاج الأرقام ، التي تعبر عن عمره ، ونجاحه
وفشله في دراسته يرتبط بالأرقام ، التي يحصل عليها
في اختبارات المختلفة ، وكلما تقدّم به العمر ، ازدادت
الأرقام الضرورية من حوله ، فيكون عليه أن يذكر
رقم بطاقته الشخصية ، وجواز سفره ، وترخيص
مزاولة المهنة ، ورقم رخصة القيادة ، وعنوان منزله ،
والأرقام التي يسجلها عداد المياه والإنارة ، ومولد
أبنائه ، وأعمارهم ، وحتى حينما يلتق ربه ، يرتبط هذا
بمجموعة أخرى من الأرقام .
وجدت نفسها تصرخ في غضب ، عند هذه
النقطة من حديثه :

— هل تحاول إغاضتي؟.. قلت لك إنني أكره الأرقام .
واندفعت من الشرفة إلى داخل المنزل ، ولحق هو
بها صاحب الوجه ، وحاول أن يضمها إلى صدره ،
وهو يقول في حنان :

***** ١٢٢ *****

— اهلهي يا حبيبتى .. إننى لم ...
دفعته عنها في حدة ، وصاحت في ثورة :
— لا تخاطبني بلفظ (حبيبتى) هذا .. إنك تسرف
في استخدامك دون شعور ، حتى بات أشبه بواحد
من أرقامك الجافة .

غمغم في ألم :
— ولكنك حبيبتى حقاً يا (شادن) .
صرخت :

— كلاً يا (أحمد) .. أنا زوجتك فحسب ..
لقد اخترتني كما تختار صفقاتك فتاة .. جميلة ، من
أسرة مناسبة .. لقد كنت بالنسبة لك مجرد صفقة
أخرى رابحة .

هتف في ألم واستنكار :
— (شادن) !! كيف تفكرين بهذا الأسلوب؟
صرخت في ثورة :
— لأنه الحقيقة .

جذبتها الكلمة في قوة إلى حديثها مع (عصام) ..

***** ١٢٣ *****

تذكّرت محاولتها رفض الكلمة ، ومحاولاته تأكيدها ..
تذكّرت مجادلتها الطويلة ..
وعادت الذكرى تسيل من عينيها الدموع ،
ونغممت في ألم :

- إنها الحقيقة يا (أحمد) .
هتف (أحمد) في استنكار :
- إنها ليست حقيقة .. إنها مجرد أوهام .
- بل هي الحقيقة .. الحقيقة العارية بلا زيف
أو خداع .

- ومن الذى يقرّر أنها الحقيقة ؟

- أنا .

- بأى حق ؟

- بحكم معرفتى بها .

- وما أدراك أنك تعرفينها ؟

- أنا واثقة من ذلك .

- وأنا واثق من العكس .

- رأيتك لم يعد يعنينى .

- المهم أننا اختلفنا ، واختلافنا يعنى أنه لا توجد
حقيقة واضحة ، وأن الحقيقة هي ما نصنعه بأنفسنا ،
في أعماقنا .

شحب وجهها ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ..
إنها نفس العبارة ، التى استخدمتها هي ، في
حديثها مع (عصام) ..

نفس منطقها يأتى على لسان (أحمد) ..
وجاء صوتها متخاذلاً ، وهى تتقمص لسان
(عصام) ، وتغغم :

- لا أحد يصنع الحقيقة .

- هذا صحيح ، فنحن لا نصنع الحقيقة ، ولكننا
نميل بها أحياناً إلى الجانب الذى يحلو لنا .

- إنها لا تكون حقيقة - حينئذ .

- بل تظل كذلك ، ولكننا نحن نراها من الجانب
الذى نريده .

- خطأ .

- بل صحيح ، فلو أننى أمسك قطعة من النقد ،

وأنظر إليها من أحد وجهيها ، في حين يقف أمامي رجل
آخر ، ينظر إليها من الجانب الثاني ، فكلانا سيصف
ما يراه فحسب ، وسيكون وصفانا مختلفين تماماً ،
ولكن هذا لا ينفي وجود قطعة النقد نفسها ، ولا يعني
أنها ليست حقيقية .

— مجرد فلسفة .

— بل واقع .. واقع ترفضينه أنت ؛ لأنك
تصرّين على رؤية قطعة النقد من جانبك فقط .
حارت أمام منطقته ، وحاولت أن تواصل مجادلته ،
ولكنها عجزت ..

أعجزتها دموعها ، وأعجزها حنقها ..

وعادت تتذكر (عصام) ..

تتذكر رفته ..

شاعريته ..

حنانه ..

دفء كلماته ..

ونغممت في ألم :

— إنني لم أعد أحتمل يا ...

بترت عبارتها قبل جزء من الثانية ، من نطقها
اسم (عصام) ..

لقد أعادت إليها مجادلتهما ذكراه ، حتى تصوّرت
لحظة أنها تتحدّث إليه ..

وكادت تخاطب زوجها باسمه ..

كادت تعترف بخيانتها أمامه ..

وكرهت كلمة الخيانة ..

كرهتها لأنها تعدّ بها ، وتذبح ضميرها وأخلاقها ..

واقترب منها (أحمد) ، وأراح كفه على كتفها

في حنان ، ونغمم :

— (شادن) .. من الواضح أن أعصابك متعبة

للغاية .. ما رأيك لو عدنا إلى (باريس) و ..

صاحت في خوف :

— كلاً .. ليس (باريس) ثانية .

عقد حاجبيه في قلق ، ونغمم :

— لماذا ؟ .. ماذا حدث في (باريس) يا (شادن) ؟

أشاحت بوجهها عنه ، وسالت دموعها في غزارة ،
فاكتسب صوته بعض الحدة ، وهو يعود يسألها في
صرامة :

— ماذا حدث هناك يا (شادن) ؟

وأمسك كتفها في قوة ، وهو يقول في توتر :

— ماذا حدث يا (شادن) ؟

غامت عيناها بالدموع ، وشعرت بدقة موقفها ،

ولم تجد أمامها إلا أن تقول في حدة :

— طلقني يا (أحمد) .

اتسعت عيناها في ذهول ، وتخلّى عن كتفها ،

وتراجع وهو يغمغم :

— ماذا !؟

صرخت في ألم :

— طلقني يا (أحمد) .. طلقني أرجوك .

***** ١٢٨ *****

١٣ - الصراع ..

« يطلقك !؟ .. هل أصابك الجنون ؟ » .

صرخ والد (شادن) بهذه العبارة في مزيج من

الغضب والذهول ، وشحب وجهه والذتها ، وهي

تضرب صدرها بكفها ، وتهتف في لوعة :

— يطلقك !؟ .. لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

اغرورقت عينا (شادن) بالدموع ، وقالت في

حق :

— هذا حق .

صاح والدها في غضب :

— كلا .. إنه ليس حقك .. لا بدّ من سبب

منطقي لهذا المطلب الغريب .

— الطلاق ليس مطلباً غريباً .. إنه إجراء طبيعي

لإنهاء علاقة فاشلة بين طرفين .

— ولكنه أبغض الحلال ، ولا بدّ من أسباب قوية

لحدوثه .

— إنني لم أعد أحتمل العيش معه .

***** ١٢٩ *****

(٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠)

— أهو شحيح ؟

— كلاً .

— قاس ؟

— كلاً .

— صفيق ؟

— كلاً ، ولكن ..

قاطعها والدها في ثورة :

— ولكن ماذا ؟ .. إنه باعترافك شاب كريم ،

حنون ، مهذب ، وهو بالإضافة إلى ذلك وسيم ،
أنيق ، ثري ، ينتمي إلى عائلة معروفة .

ولوح بذراعيه في عصبية ، وهو يستطرد في

غضب :

— إنني أراه زوجاً مثاليًا ، يندر أن يجود الزمان

بمثله .

— ولكنني لا أحتمله .

— لماذا ؟

— لأنه جاف كالصحراء .

***** ١٣٠ *****

حدّق والدها في وجهها بدهشة ، وهتفت أمها في

حيرة :

— ماذا تعنين يا (شادن) ؟

انطلقت تقول في سخط :

— إنه عملي للغاية .. لا مكان للعواطف في حياته ..

كل شيء عنده يقاس بالأرقام ..

عقد والدها حاجبيه ، وقال في صرامة :

— هذا لا يكفي سبباً للطلاق .

قالت (شادن) في حدة :

— إنه يكفي بالنسبة لي .

فوجئت بوالدها ينفجر في غضب :

— كفي يا (شادن) .. إنك تتصرفين كمراهقة

صغيرة ، لم تصل إلى مرحلة النضج بعد .. مراهقة

لا تدرك شيئاً عن حقائق الحياة ، وواقع الأمور .

نمغمت في دهشة :

— ولكن يا أبي ..

قاطعها في ثورة :

***** ١٣١ *****

— ولكن ماذا؟ .. إن زوجك شاب ممتاز ..
بل أكثر من ممتاز ، وأنت ترفضين فيه ما أراه أنا سرَّ
امتيازهِ .. إنه شاب في منتصف العشرينات من عمرهِ ،
وناجح إلى حد يصعب أن يبلغه كهل قضى حياته كلها
في العمل ، وهو محترم في كل الأوساط الاقتصادية ،
ويحوز ثقة الجميع ، ثم تأتين أنت وترفضينه لمجرد أنه
رجل عملي ؟ .. ماذا كنت تريدن إذن ؟ .. هل كان
يسعدك أن يترك عمله ، ويركع تحت قدميك حاملاً
قيثارته ، ليلقى على مسامحك كلمات الحب والغزل طيلة
الليل والنهار ؟ .. لو أنه فعل لفقد احترامى له ، ولعدده
شاباً فاشلاً .. ثم من سيجنى ثمار عمله هذا ؟ .. ألن تجنيا
ثماره معاً ؟ .. ألن يجنيها أبناؤكما من بعد ؟

عادت تغغم في ألم :

— أنت تتحدث مثله يا والدي .

صاح في حدة :

— لأن كلينا يتحدث لغة العقل ، أما أنت

***** ١٣٢ *****

فتتحدثين لغة العاطفة فحسب .. والحياة يا (شادن)
لا تسير بلغة العاطفة وحدها .

قالت في حدة :

— ولا بلغة العقل وحدها .

ثم تفجّرت بالبكاء ، وهي تستطرد :

— لقد تركني وحدي في أول أيام شهر العسل ،
حينما لاحت له إحدى مشكلات عمله .

ضربت والدتها صدرها بكفها في جزع ، وهي
تهتف :

— يا إلهي !! .. تركك وحدك في شهر العسل ؟ !
أشار والدها إلى أمها في صرامة ، طالباً منها
الصمت ، ثم قال في حزم :

— وهل تركك إلى فتاة أخرى ؟

هزّت رأسها نفياً ، فأردف في صرامة :

— إنه لم يخنك إذن .

لم يدر والدها أنه بعبارة هذه قد أصاب — دون
أن يدري — أكثر حصون عنادها وهناً وتخاذلاً ..

***** ١٣٣ *****

لم يدرك أنه أصاب نقطة ضعفها في الصميم ..
وامتقع وجهها ، وهي تردد العبارة في أعماقها ..
نعم .. إن (أحمد) لم يخونها ..
هي خائنه ..

هي وهبت قلبها لرجل آخر ..
هي خدعته ، وزيفت مشاعرها تجاهه ..
وفي محاولة أخيرة لمحو الكلمة من آلام عقلها ،
نعمت :

— الخيانة ليست المبرر الوحيد للطلاق .
صاح والدها :

— وماذا تعرفين أنت عن الطلاق ؟ .. هل تظنينه
أمراً سهلاً بسيطاً ؟ .. هل فكرت فيما يقوله الناس ،
حينما يتم الطلاق بين عروسين ، لم ينقض شهر عسلهما
بعد ؟ .. هل تعلمين كيف تحيا المطلقة هنا ؟ .. هل
تعرفين كيف ينظر إليها المجتمع ؟

— ولماذا وافق المجتمع على زواجي بهذه السرعة ؟
— المجتمع يقبل بسهولة زواجاً سريعاً ، ولكنه

يرفض تماماً الطلاق السريع ، وينظر إليه نظرة مرتابة
متشككة .

— إنها أفكار متضاربة .

— بل صحيحة ، فحينما يحدث الزواج السريع ،
يظن الناس أنه هناك خطوات سبقت إعلان الزواج ،
أو أن هناك تعارفاً مسبقاً بين العروسين ، فلا يبدو
الزواج — حينئذ — لهم متسرعاً ، خاصة إذا كان زواجاً
كزواجك بـ (أحمد) .. لا تنقصه الإمكانيات ،
أما الطلاق المتسرع ، فإنه يثير الدهشة والشك ، ويسئ
إلى أحد المطلقين ، أو كليهما .

ثم التقط سماعة الهاتف ، واستطرد في صرامة :
— ثم إنني أحب أن أسمع رأي (أحمد) في طلبك
الطلاق هذا .

قالت في حدة ، وهي ترقبه يدير قرص الهاتف :

— لا شأن له بهذا .. إنه قراري وحدي .

نعم والدها في سخط :

– الطلاق ليس قراراً فردياً .. إلا إذا كان قرار
الزوج وحده .

هتفت في غضب :

– هذا تعنت .

قال والدها في صرامة :

– إنه شرع الله (سبحانه وتعالى) .

ثم قال من خلال الهاتف :

– أريد التحدث إلى السيد (أحمد) مدير الشركة .

وانعقد حاجباه ، وهو يغمغم في صوت يشف عن

دهشته :

– متى !؟ .. هكذا فجأة !؟

ثم وضع السماعة ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ،

مما دفع والدته (شادن) إلى أن تسأله في اهتمام :

– ماذا حدث ؟

أدار عينيه إليها ، وقال في توتر :

– لقد رحل .

***** ١٣٦ *****

غمغمت (شادن) في دهشة :

– رحل !؟ .. ماذا تعني ؟

شبَّك أصابع كفيه خلف ظهره ، وقال في حنق :

– لقد ترك القاهرة ، وعاد إلى (باريس) صباح

اليوم .



١٣٧

***** ١٣٧ *****
(م ١٠ – زهور – حب بلا أرقام)

لم تعد (شادن) إلى منزلها منذ ذلك اليوم ..
أسبوع كامل منذ سفر (أحمد) المفاجئ إلى
(باريس) ، وهي ترفض العودة إلى منزلها ..
لقد عادت إلى حجرتها القديمة في منزل والديها ..
وتضاعف غضبها ، ومنحطها تجاه (أحمد) ..
ها هو ذا يتركها مرة أخرى من أجل عمله ..
لم يبق إلى جوارها ، حتى وحياتها معاً تتعرض
للخطر ..

حتى وهي تطلب الطلاق منه ..
كان يمكنها أن تغفر له تجاهله لها ، حينما كانا في
(باريس) ، ولكنها لن تغفر له أبداً فراره منها الآن ..
وفي غمرة آلامها ، وعذابها ، ومنحطها تذكرت
(عزة) ..

صديقتها القديمة ، التي تبثها مشاكلها دائماً ، وتجد
لديها الآذان الصاغية ، والقلب الحنون المتفهم ..

وأسرعت تلتقط سماعة الهاتف وتطلب رقم (عزة) ..
لم تكذب تسمع صوتها على الجانب الآخر للهاتف ،
حتى قالت في لهفة :

- كيف حالك يا (عزة) ؟ .. أنا (شادن) .
سمعت صبيحة فرح من الجانب الآخر ، أعقبه
صوت (عزة) المرح ، وهي تهتف في حرارة :
- كيف حال العروس ؟ .. كيف حال زوجك
الوسيم ؟ .. متى عدت من (باريس) ؟
أجابتها (شادن) في توتر :
- منذ أسبوعين تقريباً .

سمعت شهقة دهشة ، وهتفت (عزة) :
- منذ أسبوعين ؟ ! .. لماذا ؟ .. ألم تعجبك (باريس) ؟
أجابتها (شادن) في خفوت :
- أريد رؤيتك الآن يا (عزة) .. أرجوك .
سألها (عزة) في قلق :
- ماذا حدث يا (شادن) ؟ .. إن صوتك يبدو
كما لو كنت تبكين .

نغممت في ألم :

- هذا صحيح .. أرجوك يا (عزة) .. أريد
رؤيتك الآن .

هتفت (عزة) في جزع :

- سأكون عندك بعد لحظات .

ولم تنقض ربع ساعة ، حتى كانت إلى جوارها ،
وزاد جزعها ودهشتها ، حينما رأت عينيها الدامعتين ،
وذبول وجهها الواضح ، فهتفت في قلق :

- ماذا بك يا (شادن) ؟ .. إنك لا تبدين كعروس
في شهر العسل .

أجابتها (شادن) في صوت خافت شاحب :

- لقد طلبت الطلاق .

تراجعت (عزة) ، وهي تهتف في ذهول :

- الطلاق ؟! .. ولكن لماذا ؟

وبلا وعى ، راحت (شادن) تقصّ عليها القصة

كلها ..

قصّت عليها ما حدث في شهر العسل ..

روت لها كل شيء عن لقاءها بـ (عصام) ،
وتجاهل (أحمد) لها ..

وأصغت إليها (عزة) في اهتمام ..

كانت ملامح وجهها تتفاعل مع كل جزء من
قصتها ، فتبتسم ، وتبتئس ، ويرتفع حاجبها في
حنان ، ثم ينقدان في غضب ، ولكنها لم تقاطعها بحرف
واحد ..

انتظرت حتى روت (شادن) كل شيء ، حتى
عودة (أحمد) المفاجئة إلى (باريس) ، ثم ساد بعدها
صمت تام ..

كانت (شادن) تبكي في حرارة ، و (عزة)
تتطلع إليها في عطف وإشفاق ، ثم قالت في هدوء :

- إذا أردت رأيي ، فأنت محظوظة يا (شادن) .

اتسعت عينا (شادن) في دهشة ، وهتفت :

- محظوظة ؟!

أجابتها (عزة) :

- نعم .. محظوظة .. محظوظة لأن (أحمد) رجل

عملي ، لم تغلبه عواطفه ، ويتسرع بتطبيقك حينما طلبت منه ذلك .. محظوظة لأن والدك رجل حكيم ، لم يضعف أمام كونك ابنته الوحيدة ، ويوافقك على طلب الطلاق ..

عادت (شادن) تهتف في دهشة :

— كيف تقولين هذا يا (عزة) ؟ .. لقد أخبرتك بكل ما حدث و ..

قاطعتها (عزة) في صرامة :

— وماذا ؟ .. إنك تنظرين إلى الأمور من جانب واحد ، تماماً كما قال لك زوجك ، ولم تحاولي فهمه ، أو احتضانه كما تفعل أية زوجة عاقلة .

هتفت (شادن) في حدة :

— إنني أنظر إلى الأمر من قريب ، من خلال معاشتي له .

— ربما كان هذا ما يمنعك من وضوح الرؤية .

— أي منطق هذا ؟ .. إن الشخص القريب يرى الأمور أوضح .

***** ١٤٢ *****

— خطأ .. الشخص القريب يرى ما حوله فقط ، أما البعيد فيرى الأمور بصورة أشمل .. لاعب الكرة مثلاً لا يرى إلا نفسه ، والكرة ، ومهاجميه ، والمرمى ، أما المشاهد الخارجي ، فيرى اللاعب ، واللاعبين الآخرين ، والملاعب كله ، ويمكنه الحكم على مهارة الفريق بصورة أوضح .

— ولكن اللاعب وحده يستطيع أن يحرز هدفاً ، بالكرة التي بين قدميه .

— قد يصح هذا في لعبة فردية ، أما في الألعاب الجماعية فهذا مستحيل ، إذ أن المجموع كله يشارك في إحراز الهدف ، والمجتمع عبارة عن لعبة جماعية ، يحاول كل فرد فيها إحراز هدف الفوز ، ولكن هذا لا يتأتى له أبداً ، إذا ما أصرَّ على الانفصال بنفسه عن الفريق .

— إذن فأنت ترين أن (أحمد) لم يخطئ .

— إنني أرى أنك أنت أخطأت .

— لقد أهملني في أول أيام شهر العسل .

***** ١٤٣ *****

— كان مستقبلكما كله يتوقف على ما سعى إليه
في تلك الأيام ، وسوء الحظ وحده هو الذى اختار شهر
عسلكما لمشكلته .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم أردفت (عزة) :
— لقد كان مضطراً لما فعل ، أما أنت فقد خنته
باختيارك .

آلم لفظ (الخيانة) (شادن) ، فغمغمت :

— إننى لم أخنه بالمعنى المعروف .
— لقد وهبت قلبك لرجل آخر ، وأنت زوجته .
— ولكننى لم أسمح له حتى بلمسى .

— الخيانة ليست بالضرورة تماساً جسدياً .

— ولكن الحب شئ ينبع من القلب ، ولا يمكن

للمرء مخادعة مشاعره .

أطرقت (عزة) برأسها ، وعاد الصمت يسود المكان
تماماً ، قبل أن تستطرد (شادن) فى صوت خافت :
— لقد أجبت (عصام) بمشاعرى وقلبي فقط ..

إننى لم أخن (أحمد) .

رفعت (عزة) عينيها إليها ، وقالت فى هدوء :
— خطأ يا (شادن) .. لقد خنت (أحمد) ، ولكنك
لم تحببى (عصام) أبداً .

عقدت (شادن) حاجبيها فى غضب ، وقالت فى
حدة :
— ليس من حقك إصدار مثل هذا الحكم .. أنا

أعلم بمشاعرى .

رفعت (عزة) حاجبيها فى حنان ، وقالت فى
هدوء :

— حسناً يا (شادن) ، ولكننى أرجوك أن تستمعى
إلى لحظات ، دون مقاطعة .

غمغمت (شادن) فى حدة :

— ماذا تريدن ؟

ازدردت (عزة) لعابها ، وتنحنحت ، وكأنها تهتم
بإلقاء محاضرة طويلة ، ثم أتى صوتها مفعماً بالحنان ،
وهى تقول :

— إننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن طويل

يا (شادن) ، وأنا أعرف أنك رقيقة الحس ، عاطفية ،
 شاعرية .. ولقد رأيت بنفسى كيف كنت تطيرين
 فرحاً ، حينما خطبك (أحمد) ، وكيف بدوت قمة في
 السعادة ، يوم زفافكما .. ولقد كنت بطبيعتك تحلمين
 بحياة حاملة شاعرية ، ولكن القدر وضع أول العقبات
 في حياتك في أول أيام شهر العسل ، ولم يكن أمام
 (أحمد) فرصة للاختيار ، فلما أن يبادر بإنقاذ شركته ،
 مضجياً بأيام شهر العسل الأولى ، وإما أن يتجاهل ذلك ،
 فينهار البناء ، الذى قضى والده عمره في إقامته ، والذى
 سيرثه هو ، وتنايلنه أنت ، وينعم به أبناؤكما فيما بعد ،
 ولقد اختار الصواب ، وبدلاً من أن تحاولي تفهم
 موقفه ، والتعاطف معه ، ثرت عليه ، واتهمته بإهمالك
 وتجاهلك ، وحينما قابلت (عصام) ، وجدت فيه
 صورة لأحلامك الشاعرية الوردية ، فتعلقت به ،
 وعطفت عليه حينما علمت أنه فقير ، يكافح من أجل
 العيش .. كان فقره مهرباً من حياة الأرقام ، التى
 يحياها (أحمد) ، وتصورت أنك تحببته .

أرادت (شادن) أن تعترض عند هذه النقطة ،
 ولكن (عزة) واصلت حديثها ، قائلة :

— كان هناك شعور غامض يشدك إلى (عصام) ،
 ولقد فسّرت أنت هذا الشعور بأنه الحب ، ولكنه لم
 يكن كذلك في الواقع ، وإنما كان تلك الصورة ، التى
 تمنيتها ، حينما اختطف منك العمل (أحمد) .

تخاذلت رغبة (شادن) في الاعتراض ، وأصغت
 إلى (عزة) في اهتمام ، وهى تستطرد :

لقد كنت تتمنين لو أن (أحمد) لم يكن ثرياً ،
 حتى لا يختطفه عمله منك .. تمنيت لو أنه فقير شاعرى ،
 ورأيت فى (عصام) صورة لأمنيتك ، فتعلقت به ..
 تعلقت بصورة صنعها خيالك ، وخنت (أحمد) .

نعممت (شادن) فى تخاذل :

— لم أخنه .

ابتسمت (عزة) ، وقالت :

— هذا صحيح بالنسبة للمرة الأولى ، ولكنه ليس
 كذلك فى لقائك الثانى مع (عصام) ، فلقد كان اللقاء

الأول وليد صدفة ، أما الثاني فبمحض إرادتك .

سالت الدموع في صمت من عيني (شادن) ، في حين تابعت (عزة) في هدوء وحنان :

- ولو أنك راجعت نفسك ، لوجدت أن (أحمد) أيضاً كان يعاملك بكل حنان ورقة طوال الوقت ، ولم يكذب ينتهي من إنقاذ شركته ، وتحقيق الصفقة الناجحة ، التي تضمن لها الاستمرار ، حتى أولاك اهتمامه كله ، وطلب منك اختيار المكان الذي تريد الذهاب إليه ، في قلب (باريس) ، ولقد كان ينوي تعويضك حقاً عن تلك الأيام ، التي أهملك فيها على الرغم منه ، ولكنك لم تمنحيه الفرصة .

أطرقت (شادن) برأسها في خجل ، وقد بدأت أمور شتى تتضح في ذهنها ، واستطردت عزة ، في حنان :

- كان ذهنك كله مشغولاً بـ (عصام) ، وبدأت أنت تهملين (أحمد) ، حينما لاحت لحظة انقشاع الغمة عن حياتكما ، ودون أن تتركى له الفرصة لإثبات حبه

لك ، طلبت منه العودة إلى القاهرة ، ولقد كان كريماً معك ، فأطاع رغبتك ، وتركك باعترافك ثلاثة أيام كاملة ، دون أن يسألك عن السبب ، ولم يذهب إلى عمله طوال هذه الأيام الثلاثة ، ولم يهملك ، ولكنك لم تشعرى بوجوده ، ولا بحنانه وعطفه ، وحينما حاول التقرب منك ، ومعرفة سبب حزنك ، ثرت في وجهه ، وطلبت الطلاق .

عاد الصمت التام يلفهما لحظات ، ثم كررت (عزة) في هدوء :

- صدقيني يا (شادن) .. لقد أخطأت . وبكت (شادن) ..

بكت كما لم تبك من قبل ..
بكت بدموع الألم والندم ..
لقد انقشعت الغيوم أخيراً ..

انقشعت من قلبها ، وعقلها ، وعينها ..
تبينت أخيراً كيف كانت ظالمة مجحفة في حق (أحمد) ..

كيف تعاملت معه بأنانية وفردية ..

لقد كان من واجبها أن تقف إلى جواره ، وتشدّ
من أزره ، حتى تمضي الكارثة ، فيبقى إلى جوارها
محباً ، ممتناً ، حنوناً ..

ولقد كان هكذا دائماً ..

إنه لم يجرحها بكلمة واحدة ، حتى عندما ثارت
في وجهه ، وحتى حينما طلبت منه الطلاق .

تذكرت رفته وحنانه ، وجهه الذي لم تتبينه في
غمرة غضبها ..

وتضاعف شعورها بالندم ..

ونغممت في ألم :

— أنت على حق يا (عزة) ..

ربّنت (عزة) على كتفها في حنان ، وهمست في

عطف :

— لم تضع الفرصة بعد يا (شادن) .

نغممت في حزن :

— لقد رحل (أحمد) .. عاد إلى (باريس) .

***** ١٥٠ *****

قالت (عزة) :

— إنه لن يمضي فيها عمره كله .. سيعود حتماً ،
وسيكون عليك حينئذ أن تعتذري له ، وتطلبي منه
الصفح .

هتفت من أعماقها :

— سأفعل يا (عزة) .. ليته يعود .. ليته .

لم تكذب تم عبارتها حتى اندفعت والدتها إلى حجرتها
في فرح واضح ، وهتفت في لهفة :

— لقد عاد (أحمد) من (باريس) يا (شادن) ..

إنه هنا ، ويطلب رؤيتك .

تهللت أسارير (عزة) ، وهتفت (شادن) في فرح :

— أين هو يا أمّاه ؟ .. أين هو ؟

تهللت أسارير الأم أيضاً ، وأسعدها تبدّل مشاعر
ابنتها ، وأسرعت تدعو (أحمد) ، في حين احتضنت

(شادن) صديقتها ، وهتفت في سعادة :

— لقد عاد يا (عزة) .. أشكرك يا صديقتي

العزيزة .. أشكرك .

***** ١٥١ *****

سالت دموع الفرح من عيني (عزة) ، وقبّلت
(شادن) في حنان ، وهي تلتقط حقيبتها ، قائلة :
— أعتقد أن مهمتي قد انتهت ، فستحتاجان إلى
البقاء وحدكما الآن ..

وانصرفت (عزة) ووقفت (شادن) في مكانها
ترجف في فرح ..
ستعذر له ..

ستطلب منه الصفح ..

واختلج قلبها في فرح ، حينما عبر باب حجرتها في
هدوء ، ووقف أمامها ساكناً ..

وتهللت أساريرها في سعادة ، وأرادت أن تلتقي
نفسها بين ذراعيه ، ولكنه حطم لفتها دفعة واحدة ،
وأسقط قلبها بين قدميها ، حينما قال في هدوء ، وبلهجة
مهذّبة :

— لقد قابلت (عصام) .. وعرفت منه كل شيء .

١٥ — وداعاً أيها الحبيب ..

هبطت عبارة (أحمد) كالصاعقة في قلب (شادن) ..
دار رأسها ، وتخاذلت قدمائها ، وشحب وجهها ،
وسقطت جالسة على طرف فراشها ، وهي تقاوم تلك
الغيبوبة ، التي حاولت السيطرة على عقلها ..

عقلها الذي تحوّل إلى عاصفة من التساؤلات ..

كيف علم بأمر (عصام) ؟ ..

كيف توصل إليه ؟ ..

كيف أقنعه بسرّ القصة ؟ ..

وكأنما قرأ (أحمد) هذه التساؤلات في رأسها ،

فقد قال في هدوء :

— حينما عرضت عليك العودة إلى (باريس) تملكك

ذعر لم أفهمه ، وعندما سألتك عن سبب هذا الذعر

أشحت بوجهك ، وبكيت في حرارة ، ولم أخطئ فهم

ذلك .. كنت واثقاً من أنه هناك شخص ما في (باريس)

يكمن وراءه سرّ حزنك وألمك ، وطلبك الطلاق .

خفض عينيه لحظة ، وكأنه يخفى انفعالا عاصفاً ،
ثم عاد يرفعهما إليها ، ويستطرد في هدوء :

— وأنا أوافقك على أنني أملك طبيعة عملية ،
وأسلوب تفكير منظم ، وهذا ما جعلني أربط ذلك
بالمصري الذي كان يعمل في ملهى (ريتز) ، والذي جعلني
أسأل عنه في لحظة .. وتذكرت أنه يدعى (عصام) .
صمت لحظة أخرى ، ثم أردف :

— وسافرت إلى (باريس) .. أردت أن أعرف
الحقيقة .

وظهر حزن عميق في عينيه ، وهو يغمغم :
— وعرقها .

ساد الصمت بينهما لحظة ، وأرادت هي أن تفسر
له الأمر ، ولكنها عجزت عن النطق ..
كان حلقها يغص بدموعها ، حتى أنها لم تستطع النطق ..
وتكلم هو ..

واصل حديثه في هدوء ، وقال بعد أن تلاشى
حزن عينيه :

— كنت أعلم أن العثور عليه لن يكون أمراً سهلاً ،
وخاصة بعد ما غادر عمله في (ريتز) ، ولكن هذا لم
يدفع اليأس إلى قلبي ، بل جعلني أكثر إصراراً على
معرفة مكانه ، وكنت أعتمد على كونه أجنبي في
(باريس) ، وأنه يحمل بالضرورة تصريحاً بالعمل ،
وإلا ما عثر على عمل جيد ، في فندق معروف مثل
(ريتز) .

مطّ شفتيه لحظة ، ثم عاد يستطرد :
— ولقد استغرق ذلك أسبوعاً كاملاً .. تنقلت فيه
بين مكاتب الشرطة الفرنسية ، وإدارات العمل ..
وأخيراً عثرت عليه .. وكان قد انتقل إلى (مرسيليا) ،
وعمل في مطعم صغير هناك .
تنهّد ، قبل أن يردف :
— والتقينا .. ولقد أذهله اللقاء بمعنى الكلمة ،

وكنت أتوقع أن ينكر كل شيء بالطبع .
غمغمت (شادن) ، وهي تبكي في ألم :
— إنني لم أخذك .

أوما برأسه إيجاباً ، وقال في هدوء :

- أعلم ذلك .. لقد أقسم هو أيضاً في صدق وحرارة على ذلك ، وأكد أن كل ما بينكما لم يعد لقاءين ، ونزهتين بريئتين .. لقد صدقته .

أرادت أن تخبره أنها تحبه هو ، وأن (عصام) لم يكن أكثر من صورة لرغبتها في حبه ..

أرادت أن تقول له ذلك ، ولكن دموعها أعجزتها .. وصمت هو أيضاً ..

صمت طويلاً ، وهو يقاوم دموعه ، التي التمت بها عيناه في وضوح ، واختلاج لها صوته ، وهو يقول :
- طبيعتي العملية أيضاً جعلتني أفهم سبب ارتباطك به .. لقد ظننت أنني أهملك وأتجاهلك ، حينما أجبرتني الظروف على تركك في أول أيام شهر العسل ، لإنقاذ الشركة من خسارة رهيبية ، وأنا لا أحقد عليك يا (شادن) ..

عض شفته السفلى لحظة ، وكأنه يحاول منع دموعه ثم أردف :

- لقد آلمني أن تصني زواجي بك بالصفقة ،

فصحيح أنني شخص عملي للغاية ، ولكن مشاعري ليست كذلك .. لقد جذبني جمالك في البداية ، ولكنه لم يكن سبب زواجي منك ، ولم تكن أسرتك أيضاً هي السبب .

حاول أن يبتسم في حزن ، وهو يغمغم :

- لقد كان حياؤك يا (شادن) .

ظهرت الدهشة في وجهها ، فاستطرد في حنان مباغت :

- نعم يا (شادن) .. حياؤك هو الذي جذبني إليك ، وجعلني أحبك ، فأنا أوقن تماماً أن الحياء دليل طهر الفتاة ، ونقاؤها ، ورقتها ، وأنا أحب هذه الصفات يا (شادن) .. أحبها مثلما أحبيتك .
ثم عاد يمسح شفته ، ويقول في أسف :

- ولكن طبيعتي العملية وقفت في طريق هذا الحب .

أرادت أن تخبره أنها تفهم ذلك ..

إنها لم تعد تنظر إلى الحب بتلك النظرة السطحية
القديمة ..

لم يعد يعنينا كيف يعبر عن حبه لها ..

كان كل أملها أن يحبها فحسب ..

وعجزت هذه المرة أيضاً عن النطق ..

لم تدر لم تصلب لسانها في حلقها ، ورفض
الإفصاح عن مكنون قلبها ..

كانت تستمع إليه فقط ، وهو يواصل ، قائلاً :

– لن يمكنني التخلي عن طبيعتي العملية هذه

يا (شادن) ، فهي جزء من شخصيتي وتكويني ، وسرّ

نجاحي في أعمالي .. ولا يمكنني في الوقت ذاته أن أفرض

عليك تقبلها ، فلو أنك فعلت مضطرة فسيغني هذا أنني

شخص أناني للغاية .. ولم يعد هناك سوى حل واحد ..

حل يحقق لك ما أردت يا (شادن) .

ارتجف قلبها ، وأرادت أن تعترض ، ولكنه

أردف في حزن عميق :

– أنت طالق يا (شادن) .

***** ١٥٨ *****

نطق عبارته ، وأسرع يغادر الحجرة ، وتركها
شاحبة ، متجمدة الأطراف ، أقرب إلى الموت منها إلى
الحياة ..

وانهارت فوق فراشها ..

وانطلقت دموعها من عينيها كالفيضان ..

وصرخ قلبها المحطم المقهور :

– وداعاً يا (أحمد) .. وداعاً أيها الحبيب .



***** ١٥٩ *****

تفجّر خبر الطلاق كالقنبلة في المجتمع المحيط
بالأسرتين ..

بكت والدّة (شادن) حتى جفت الدموع من عينيها ..
وقاطعها والدها ، حتى أنه لم يخاطبها بكلمة واحدة
منذ طلاقها ..

وتساءل الجميع عن سرّ ذلك الطلاق المفاجيء ..
ولكن (شادن) لم تنطق بكلمة واحدة ..
ولا (أحمد) ..

لزم كلاهما الصمت والعزلة طويلاً ..
لم تكن (شادن) تغادر حجرتها إلا لمساماً ..
لم تعد تتناول إلا ما يقيم أودها من الطعام ..
وذبل جمالها الفتان ..

شحب وجهها ، وغارت عيناها ، وفقدتا بريقهما ..
حتى شعرها الكستنائي الناعم ، تركته يتهدّل على
كتفيها بلا عناية أو اهتمام ..

أما (أحمد) ، فقد انغمس في عمله ، لعله ينجح في
انتزاع أحزانه ..

ولم يحاول والده أن يسأله عن سر الطلاق ..
كان (أحمد) بالنسبة إليه كل شيء في حياته ،
بعد أن رحلت والدته ، وتركته له طفلاً لا يتجاوز
الخامسة من عمره ..

ولقد غرس في نفسه الشخصية القوية ..
علمه كيف يعتمد على نفسه ، وكيف يتروّى في
اتخاذ قراراته ..

وكان يعلم أن (أحمد) ما زال يكنّ لـ (شادن)
كل الحب ..

كان واثقاً من أن قرار الطلاق هذا لم يأت عبثاً ..
وقاوم رغبته الشديدة في سؤال (أحمد) عن السبب ..
و ذات يوم ، وهو يرى ابنه منهمكاً في عمل شاق ،
لم يعد يستطيع كتمان رغبته ، فسأله في حنان وحذر :
- (أحمد) .. لماذا طلقت (شادن) ؟

ارتجفت شفتا (أحمد) وانعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

— لقد كان هذا لصالح الجميع يا أبى .

هزّ والده كتفيه ، وقال :

— ربما .. ولكنها كانت فتاة رقيقة مهذّبة ، ولقد أحببتها كثيراً .

ترك (أحمد) الأوراق التى يعمل بها ، وارتكن بجهته على قبضتيه المضمومتين ، وهو يقول :

— أنا أيضاً أحببتها كثيراً يا أبتاه .

ارتفع حاجبا الوالد فى دهشة ، ونغم فى حيرة :

— عجباً !! .. لماذا طلقها إذن ؟

ترقرقت دموع فى عيني (أحمد) ، أدهشت والده ، فهتف فى جزع :

— يا إلهى !! هناك سر خطير يكمن وراء هذا الطلاق .

هزّ (أحمد) رأسه فى بطاء ، وأسى ، وقال :

— ليس هناك من أسرار يا والدى .. كل ما فى الأمر هو أن التفاهم بيننا مستحيل .

وخدعته دموع فارة ، وسقطت فوق أوراق العمل ،

وهو يستطرد :

***** ١٦٢ *****

— أنا شخص عملى كما تعلم يا أبى ، و (شادن)

تطمح إلى شخص عاطفى شاعرى و ..

قاطعه والده ، وهو يضمه إلى صدره فى حنان :

— أنت شخص عملى ؟! .. هل صدقت تلك

الخدعة ، التى حاولت إيهام نفسك بها طويلاً يا بنى ؟ ..

إن نجاحك فى عملك لا يعنى أبداً أنك شخص جاف

المشاعر ، بارد الأحاسيس .. وإنما يعنى أنك شخص

عقلانى متزن ، يمنع عمله نفس القدر الذى يمنحه

لقلبه من الاهتمام ، والشخص الناجح فى عمله هو دائماً

شخص عاطفى ، فصدر نجاحه هو هذه العاطفة بالذات ؛

فهو يحب عمله ، ويخلص له ، والحب والإخلاص

صفات عاطفية محضة .

ترك (أحمد) دموعه تسيل على وجهه فى صمت ،

فى حين استطرد والده فى حنان :

— إننا نخطئ حينما نفصل الواقع عن العاطفة يا بنى ،

فنحن بشر ، ولا يوجد بيننا ملائكة أو شياطين ، ولسنا

جماداً خالياً من العواطف .. إننا مزيج من العقل والعاطفة .

***** ١٦٣ *****

ثم ابتسم ، وغمغم في حب :

— ثم إن الشخص العمل لا يحرص لعشرين سنة
كاملة على زيارة قبر والدته ، ووضع باقة من زهورها
المفضلة عليه ، كما تفعل أنت .

ابتسم (أحمد) في حزن ، وغمغم :

— هذا الحديث متأخر يا أبي .. لقد انتهى

كل شيء ..

هزّ والده كتفيه ، وغمغم :

— ربما لم يفت الوقت بعد .

سأله في حيرة :

— ماذا تعني يا أبي ؟

أجابه الوالد في حماس :

— إن فترة العدة لم تنته بعد ، ويمكنك ردّ

(شادن) و ...

قاطعه في حزم :

— كلاً يا والدي .

سأله والده في حنان :

— ولماذا يا بني ؟ .. إنك تحبها .

لوّح بكفه ، وقال :

— لقد طلبت هي الطلاق ، ففتحها إياه ، وإعادتي

لها الآن ستكون مفروضة عليها ، وأنا أكره ذلك .

غمغم الوالد في حزن :

— ومن أدراك ؟ .. ربما كانت هي أيضاً ..

عاد يقاطعه في ألم :

— أشكّ في ذلك يا أبي .

قاطعهما صوت حنون رقيق ، يقول :

— أنت مخطيء بنسبة مائة في المائة يا (أحمد) .

اتسعت عينا (أحمد) ، ورقص قلبه في حب ولهفة ،

وهو يهتف :

— (شادن) ؟ ! ..

امتلاّت عينا الأب بدموع الفرح ، وهو ينقل

بصره في حنان ، بين اللهفة الواضحة في عيني ابنه ،

والحب العميق ، المطلق من عيني (شادن) ..

واحتضن (شادن) في حنان ، وقبّل وجنتها ،
وهو يغتم في فرح :

– مرحباً بعودتك يا بنيتي .
ثم أسرع إلى باب حجرة (أحمد) ، وقال في
سعادة :

– سأنتظركما في منزلكما ، مع والدي (شادن) ،
لنحتفل معاً .

أغلق الباب خلفه ، ووقف (أحمد) و (شادن)
يتطلعان إلى بعضهما البعض في صمت ..

وارتفعت دماء الحجل والحياء إلى وجهها ،
وابتسمت وهي تهمس :

– أما زلت تريدني زوجة لك ؟
تطلع إلى حياثها الذي يحبه في حنان ، وضمها إلى

صدره ، وهو يتحسس شعرها الكستنائي الناعم في حب ،
ويهمس في أذنها :

– كيف حالك ؟
دفنت وجهها في صدره ، وهي تهمس في حب :

***** ١٦٦ *****

– كيف حالك أنت ؟

همس في حنان دافق :

– أحبك يا (شادن) .. أحبك يا زوجتي العزيزة .

همست ، وهي ترتجف في حب وسعادة :

– وأنا أيضاً أحبك يا زوجي الحبيب .

ورفعت إليه عينيها المغرورقتين بدموع الحب

والسعادة ، وأردفت :

– أحبك بنسبة مائة في الـ ..

قاطعها بلحمة حانية رقيقة من أنامله لشفيتها الجميلتين ،

وهمس وهو يتسم :

– هل نسيت ؟ .. إنه الحب فحسب .. الحب

بلا أرقام .

وعادت تدفن وجهها في صدره ..

وعاد الحب ..

الحب بلا أرقام ..

[تمت بحمد الله]

***** ١٦٧ *****

المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

الحب بلا أرقام

تزوجت (شادن) (أحمد)،
وكان زواجهما حديث مجتمع
القاهرة كله، فكلاهما جميل اغنيًا، أنيق،
من أسرة معروفة، ولكن (شادن) لم تحتل
أسلوب (أحمد) العمل، الذي فاجأها
في أيام شهر العسل الأولى، في (باريس)..
وفي قمة برج (إيفل) نسج الحب
خيوطه بينها وبين (عصام)، وكان
عليها أن تختار ما بين الحب
العمل، أو حب بلا أرقام.

قرش جنين

١ ٢٥

التمن في مصر

وما يعادل دولارًا أمريكيًا في سائر الدول العربية والعالم